

نقض كلام المفتريين على الحنابلة السلفيين

أحمد بن حجر آل بو طامي آل بن علي
قاض المحاكم الشرعية
بمدينة قطر

مكتبة ابن القيم

دار الصميعي للنشر والتوزيع

تتشرف دار الصميعي للنشر والتوزيع

أن تقدم للقارئ الكريم سلسلة دروس في العقيدة

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة

د/ ناصر القفاري - د/ ناصر العقل

(٢) تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والافتراء

للشيخ أحمد بن حجر أبو طامي

(٣) الجاهلية الجديدة

د/ ناصر العقل

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في شروط الساعة والنجاة

أعداد الشيخ سعد بن عبد الله بن حميد

(٥) مفهوم الحب عند أهل السنة والجماعة (الجزء الأول)

تقديم الشيخ عبد الله بن حميد - أعداد علي بن عبد الله

(٦) التعليقات على متن لمعة الألفاظ

للعلامة الشيخ/ عبد الله بن حميد

طبعة جديدة مصححة ومنقحة

(٧) نقض كلام المفتريين على الحنابلة السلفيين

للشيخ/ أحمد بن حجر أبو طامي

(٨) رسالة في توضيح ما يجوز وما لا يجوز من الكلام

أعداد/ نايف العتيبي - تقديم د/ ناصر العقل

مع تمنياتنا لكم بدوام العلم النافع والعمل الصالح

الناشران :

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢

ومكتبة ابن القيم

هاتف ٨٦٣٥٣٣ الدوحة - قطر

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

سلسلة دروس في العقيدة (٧)

نقض كلام المفتريين على الحنابلة السلفيين

تأليف / أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
قاضي المحكمة الشرعية الأولى
بدولة قطر

مكتبة ابن القيم

هاتف ٨٦٣٥٣٣

الدوحة - قطر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ٠٠٠ اما بعد : فيقول الفقير الى الله أحمد بن حجر « انه قد ورد الى سؤال من اخ عماني فاضل يقول فيه : كنت بالامس اطالع فصلا من كتاب (ضحى الاسلام للاستاذ أحمد أمين) عن المعتزلة وفلسفتهم الكلامية ومسائلهم الاعتقادية ، ومنها مسألة خلق القرآن ، وفي هذه المسألة استوقفت نظري العبارة التالية - نقلها عن الحنابلة في (ج ٣ ص ٣٩) وهي (وفريق آخر من بعض الحنابلة زعم ان القرآن بحروفه واصواته قديم وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجسد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف) .

وأشار الى انه نقلها من كتاب المواقف (ج ٣ ص ٧٦) .

كما ان الراي نفسه نقل عنهم من كتاب (نهاية الاقدام) للشهرستاني (ص ٣١٣) في عبارة مماثلة فما هو نصيب هذا النقل من الصحة ؟ وماهو موقف الفحول الكبار كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من هذا القول ؟

أرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسألة من جميع جوانبها واعطائها حقها من البحث والتحليل والتحقيق والله يرشدكم الى الصواب ٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلى الأئمة المهتدين أجمعين :

أما بعد : فقد كنت أجبت عن هذا السؤال الذى أرسله اخونا الفاضل العماني في عام ١٣٩١هـ - والآن بنا لي أن أراجع السؤال والجواب وأعيد النظر فيهما ، وبالفعل قمت بالنظر في السؤال والجواب ، وزنت في بعض مواضع الجواب زيادة في الفائدة للقراء والمواظعين على هذا السؤال والجواب - أسأل الله أن ينفع بهذا الجواب الشافى ، وأن يثيبني في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فأقول وبالله التوفيق :

قد وقعت على ما ذكره أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام - الجزء الثالث) فإذا هو كما ذكره السائل عنه فقد نقل عن (المواقف) (ونهاية الإقدام) للشهرستاني ما نسباه إلى بعض الحنابلة مما هو مذكور في السؤال بالنص الذى ذكره أحمد أمين ، ولكن بالرجوع إلى كتاب المواقف لعبد الله والدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ، وجدت عبارته في المقصد السابع في أن الله متكلم ، قال « بعد عبارات ساقها ، ثم قال الحنابلة » كلامه حرف وصوت ، يقومان بذاته وأنه قديم ، وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف .

فإذا قارنا بين ما نقله أحمد أمين عن المواقف وبين عبارة المواقف وجدنا في العبارة فرقا لأن عبارة أحمد أمين تقول « وفريق آخر من

بعض الحناابلة زعم ، وعبارة المواقف ، وقال الحناابلة « ولم تقل العبارة » ، وفريق آخر من بعض الحناابلة ، ولم تقل زعم بل قالت « قال الحناابلة » وقال ان القرآن بحروفه وأصواته قديم ، والحال ان عبارة المواقف كلامه حرف وصوت يقومان بذاته ، وأنه قديم ، ولم تقل العبارة : القرآن بحروفه وأصواته قديم ، ولا شك أن بين العبارتين فرقاً ، وبيانه أن قوله : بحروفه أن كان الضمير راجعاً للقرآن فهو معقول ، لكن وأصواته ، فإن كان الضمير للقرآن فهو فاسد ، لأن القرآن لا صوت له وإن كان يقصد صوت القارئ فلم تقل الحناابلة بقدمه كما سيأتى وعبارة المواقف ليس فيها إضافة الى الضمير حتى يرد عليها ما يرد على ما نقله أحمد أمين ، وإنما قصد صاحب المواقف أن يقول أن الحناابلة تقول « كلام الله قديم مع كونه بصوت وحرف خلافاً للأشاعرة ولا تعطى عبارته صوت القارئ وأنه قديم ، وإن بعضهم نسب اليهم هذا » .

فعبارة أحمد أمين توحى أن كلام المواقف حول القرآن ، وليس الأمر كذلك ، بل عبارة المواقف عن كلام الله من حيث هو بقطع النظر عن القرآن وغيره ، ومن المقارنة بين العبارتين يتبين بكل وضوح أن أحمد أمين لم يتحرر النقطة في النقل ، ولعله نقل بالمعنى وتصرف فيه ، أما قوله : نقلاً عن المواقف وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلاً : الجلد والغلاف قديمان ، فهذه العبارة نقلها صحيح من المواقف (أما كلمة فضلاً عن المصحف) فهذه الكلمة من الشرح وليست من متن المواقف .

وها أنا أسرع في الجواب بعون الملك الوهاب ، فاقول أن هذا السؤال يشتمل على مسألتين :

(الأولى) : قوله (وفريق آخر من بعض الحناابلة زعم أن القرآن بحروفه وأصواته قديم) .

فيقال في الجواب : قوله (بحروفه) أن كان الضمير راجعاً للقرآن فهو معقول ، لكن (وأصواته) فإن كان الضمير للقرآن فهو فاسد كما سبق ، لأن القرآن لا صوت له ، لماذا يقصد الكاتب أو الناقل ، من هذه العبارة .

فإن كان يقصد صوت القارئ ، فما هنا مرجع اليه ، والمرجع هنا هو القرآن ، وإن كان يقصد صوت القارئ :

فجوابه :

لم يقل أحد من الحناابلة أن صوت القارئ قديم - كما سيأتى - بل أطلق القديم على كلام الله لم يرد عن السلف ، ولا عن الإمام أحمد ، ولا محققى الصحابة . نعم قد يطلق بعضهم لفظ قديم على كلام الله تجاوزاً ويقصد بذلك أنه غير مخلوق كما سيأتى في كلام ابن قدامة والسفارينى

وإنما يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود . (نانيا) لا مرجع للضمير هنا إلا القرآن - كما سبق - نعم هناك قول لطائفة من أهل الكلام والحديث : أن كلام الله بقطع النظر عن القرآن حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل .

وهذا كما ترى ليس من قول الحناابلة ، وعلى الفرض أن بعض الحناابلة قال به ، فليس خاصاً بالحناابلة ولا بالقرآن ، على أنه غير معقول ولا مؤيد بالدليل .

أما المسألة الثانية وهى : (وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلاً - الجلد والغلاف قديمان فضلاً عن المصحف) .

وأشار أحمد أمين الى أنه نقلها من كتاب المواقف ج ٣ ، ومن نهاية الإقدام للشهرستانى .

افتراء بعض المتكلمين على الحنابلة

فالجواب :

ليست هذه أول فرية افتراها بعض المتكلمين الذين خالفوا مذهب السلف القويم ، وقاثروا بأراء الفلاسفة فزعم بعضهم أن الحنابلة يمثلون الرب يخلقه ، أو يجسمونه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، أن يقولون إلا كذبا) . فقد افترى عليهم سالف الرأى العباسى وبعض وزرائه وإلى القارىء البيان :

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٣٢٣هـ

نكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفىها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكسبون من دور القواد العامة ، وإن وجدوا نبیذا أراقوه ، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا فى البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان ، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو ؟ فإن أخبرهم إلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة ، إلى أن قال فخرج توقيع الرأى بما یقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره - ٥٠١هـ - وهنا نسب اليهم أنهم يشبهون الله بخلقه ، وأن هیئتهم على هیئة رب العالمین وأنهم يطعنون على خيار الأئمة ، وينسبون آل محمد إلى الكفر ، وينكرون زیارة قبور الأئمة ويقولون بنزول الله فى كل ليلة إلى السماء الدنيا (١) .

(١) ما نسبته الرأى اليهم وشدد فى الحكم عليهم یحتمل امرین : (الاول) : اما أنه كان یعلم أنهم أبریاء من تلك الامور التى نسبها اليهم ولكن فشدّة تعصیه وعدم عدالته ، ولسايرته للجمهور الذى فشى فیهم اذ ذاك مذهب الجهمیة والمعتزلة والأشعرية قال ما قال فى حق الحنابلة وبتس ما قال .

ويظهر أن صاحب الشرطة أو الوزير نقل الى الخليفة الراضى العباسى عن الحنابلة ما ليس صحيحا فى نفس الامر ، ومن أجل ذلك نسب الراضى اليهم ما نسب ، ومن جراء ما شحنوه بالأكاذيب والافتراءات عليهم قال فى توقيعه (يعنى منشوره) الذى نشره تحذيرا لهم : وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهدا اليه يلزم الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتمكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبيدا

= ولم يصح ما نسبته اليهم الا القول بنزول الله فى كل ليلة الى السماء الدنيا فقط كما ورد فى الحديث الصحيح .

(الثانى) : انه كان جاملا بحقيقة أمرهم وأن وزيره هو الذى حملته على ذلك كما يقال أو صاحب الشرطة وتأثر من كلام أولئك ولم يحقق ، فأصدر ذلك الأمر الشديد على الحنابلة وتوعدهم بأن يستعمل السيف فى رقابهم والنار فى منازلهم وليس لهم ذنب يستحقون التوبيخ بالكلام ، فضلا عن قتلهم وحرقتهم ، وكل ذنبهم أنهم كانوا يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويزيلونه بيدهم ان استطاعوا ، وطيعا ان النفوس مجبولة على الشهوات والملذات وارتكاب المحرمات ، وأى الأمرين كان فان الراضى قد أخطأ فيما نسبته الى الحنابلة وكذب عليهم فلا عبرة بكلامه ولا وزن لنسبته تلك الافتراءات الى أولئك الحنابلة الأجلاء الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأعلفوا توحيد الاسماء والمصنفات وتوحيد الألوهية منفردين فى ذلك اليوم عن بقية المذاهب التى تفتشت فيها مذاهب الجهمية والمعتزلة والجبرية والاشعرية الذين خالفوا امامهم أبا الحسن الاشعري .

وليستعملن السيف فى رقابكم والنار فى منازلكم (من الكامل الجزء السادس) .

وزعم بعضهم أن شيخ الاسلام ابن تيمية كان يعظ على منبر جامع دمشق ، وقرأ حديث النزول وقال « ينزل كنزولى هذا - يقصد أنه مشبه - وسيأتى رد هذا الزعم .

ان خصوم السلف وهم المعطلة من الجهمية والمعتزلة ، يرمون السلف الذين يثبتون لله الصفات الواردة فى الكتاب وفى صحيح السنة بالتجسيم والتمثيل ، لان هذه الصفات - بزعمهم - من صفات المخلوقين حتى زعم الشهرستاني ، أن مثبتة الصفات من السلف ، قد آل ببعضهم الاثبات الى التشبيه .

وخصص ذكر الحنابلة ، لأنهم هم أكثر الذين يمثلون مذهب السلف ويناضلون عنه سائر الفرق الضالة . اذ الممثل يعبد صنما ، والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد اله الارض والسماء . وبرأ الله أهل السنة والجماعة والسلف من أنهم يمثلون الله بخلقه أو يشبهونه .

والشهرستاني على جلالته قدره في علم الكلام لم يحقق مذهب السلف ، ولو حقق لعرف أنهم أبرياء مما نسب اليهم ، اذ المعطلة والمشبهة والمجسمة هم من أهل البدع والضلال ، بل قد تؤول عقيدة بعضهم الى الكفر .

وهذه النسب الكاذبة الى الحنابلة من دعوى التشبيه والتجسيم حصلت أيام الفتن والنزاع بين الحنابلة والشافعية وبين الحنابلة والحنفية واليك تأييدا لما قلت ما ذكره ابن الاثير في حوادث ٤٧٥ .

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية ، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ، ثم انه قصد يوما دار قاضي المقضاة أبي عبد الله الدمغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشتنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري (انتهى من الكامل لابن الاثير الجزء الثاني) .

أقول : لقد ابتلى المسلمون بمثل هؤلاء العلماء كآبى القاسم البكرى السالف الذكر الذين جمدوا على التقليد ونبذوا الأخذ بالدليل وفرقوا من جراء ذلك شمل المسلمين بتعصبهم الممقوت لمذهبهم وعقيدتهم ، وإن كان فى نفس الامر فيها وفى المذهب ما يخالف الكتاب والسنة الصحيحة كاعتقادهم تأويل آيات الصفات جريا وراء مذهب المعتزلة والجهمية ، والتقليد فى الفروع ولو خالف نص الكتاب والسنة فى بعض المسائل والا فلو لم يكن فيهم هذا الداء الوبيل ، داء التأويل والتعطيل والتقليد ما عاب أبو القاسم الحنابلة ولا ذمهم ، فأى عيب فيهم ومذهبهم فى الأصول والفروع معروف ، مذهبهم فى العقيدة هو المذهب الصحيح من الايمان بالله وبأسمائه وصفاته كما جاء فى الكتاب والسنة ايمانا لا يشوبه تعطيل ولا تمثيل وحاشاهم عن التشبيه والتمثيل وكذب أبو القاسم فيما عابه به عليهم وعفا الله عنه .

وقال بعضهم ، ناسبا الى الحنابلة : ان القرآن قديم ، وأصوات القراء قديمة ، بل والمداد الذى يكتبون به قديم ، بل زعم بعضهم بقدم الجلد والغلاف ، حتى تهكم بعضهم وقال : ما بالهم لا يقولون بقدم الكاتب والمجلد ، الى غير ذلك من

الافتراءات الباطلة ، والاختلاقات الكاذبة التى ما أنزل الله بها من سلطان .

وما أدري كيف يوثق بعلم هؤلاء وبكتبهم وهم يفترون هذه الاكاذيب على جمهور من المسلمين ، وصفوة أمة محمد سيد المرسلين .

وكيف ينقل زيد عن عمرو ، وعمرو عن خالد من غير أن يرجع الى كتب من نقل عنهم هذا القول ونسب اليهم ؟ . . وكيف يكون المرء عالما محققا ، اذا لم يمحص البحث ويحققه من جميع نواحيه ، وينسب الاقوال الى مصادرها الموثوقة ؟ .

أما مجرد أن يرى عبارة فى كتاب لعالم يقول فيها قال العالم الفلانى ، أو فى المذهب الفلانى كذا ، بدون ذكر المصدر فينقلها ناسبا اياها الى ذلك العالم أو المذهب ، جازما بصحتها ، فلا يكون محققا ، ولا ينبغى أن يوثق بكلامه أو نقله ، لأنه لم يبينه على دليل صحيح من نقل صحيح أو عقل رجيح .

فهؤلاء الذين نسبوا الى الحنابلة هذه الاقوال السخيفة ، التى لا تصدر الا عن ملحد أو مبتدع ضال أرعن يعوزهم اثبات ذلك بنقل صحيح من

مصدر موثوق به وها أنا بعون الله وتوفيقه أبين بطلان هذه النسب الكاذبة التي لم يخش الله ناسبوها ولم يتصفوا بالحياء ولا بالعقل الرجيع ، فأقول وبالله التوفيق :

لا يخفى أن الحنابلة امامهم أحمد بن حنبل ، والامام أحمد لم تخف مكانته العلمية ، واتباعه للسنة المطهرة في عقائده وأقواله وأفعاله ومذهبه ، وله مؤلفات عديدة (١) ، ولابنه عبد الله مؤلفات ، وقد بنى مذهبهم في الاصول أعني العقائد - على الكتاب والسنة الصحيحة .

واليك الآن بيان مذهب أحمد وعقيدته واتباعه في الاصول والفروع وأن عقيدتهم تمثل مذهب السلف الصالح ، كما أن مذهبهم في الفروع مؤيد بالكتاب والسنة وبالأجماع والقياس الصحيح .

(مذهب الامام أحمد واتباعه في) الاصول والفروع

الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى هو الذي أظهر مذهب السلف وناضل عنه ، وإن كانت الأئمة كلهم رحمهم الله على ذلك - فالامام أحمد واتباعه تابعون للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين ، لا يؤلون في صفات الله ولا يشبهون الله بخلقه ، ولا يكيفون بل يقولون نؤمن بما ورد ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ، فيقولون لله علم يليق به ، وللمخلوقين علم يليق بهم ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، والله سمع ، يليق به وللمخلوقين سميع يليق ، وليس سمع الله كسمع المخلوق وهكذا سائر الصفات . (١)

(١) أعلم أن المعتلة من الجهمية والمعتزلة وأضرابهم ، اعتمدوا في نفى مشابهة الله لمخلقه على النفي المجرد ، زاعمين بهذا النفي تنزيه الله عن مماثلة المخلوق ، وبناء على ذلك نفوا عنه العلم والسمع والبصر والقنرة والكلام ، والاستواء والرؤية وما الى ذلك مما ورد =

(١) وأعظمها كتابه المسند ، ومن مؤلفاته الرد على الجهمية وغير ذلك .

ومن صفاته الكلام ، فيقولون : كلام الله لا يشبه كلام المخلوق وكلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود .

ومن المستحسن أن أذكر مذهب الامام أحمد وأتباعه في الاصول ، أعنى العقائد باختصار :
وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فيشهدون أن

= في الكتاب المجيد والسنة الصحيحة من صفاته قائلين أن هذه الصفات هي للمخلوق ، فإذا اثبتناها للخالق - جل وعلا - فقد شبهناه بالمخلوق وهذه طريقة باطلة ، مألها نفى الخالق - جل جلاله - إذ لا يعقل ذات مجردة من الصفات الا في اذهان أولئك المضالين المضلين ، وليس كل ما يفرضه الذهن يكون له وجود في الخارج ، وانما الطريقة الصحيحة اثبات حقائق أسماء الله وصفاته ونفى مماثلته لشيء من مخلوقاته ، وكونه يتفق مع المخلوق في الاسم وفي المعنى الكلى المشترك لا يلزم منه مماثلته لخلقه ، فانه مامن موجودين الا وبينهما تشابه من وجه واختلاف من وجه آخر ، ألا ترى اذا قيل بين الانسان والفرس تشابه من جهة أن هذا حيوان وهذا حيوان ، واختلاف من جهة أن هذا ناطق وهذا صاقل ، وغير ذلك من الأمور كان ذلك صحيحا ، فإذا قيل عن الله أنه موجود حتى عليم قدير سميع بصير ، والمخلوق يوصف بهذه الصفات فقد اتفقا في المعنى العام وهو القدر المشترك ، توضيحه مدلول الوجود ضد العدم ، والوجود ضد المعدوم ، ومعنى الحى ضد الميت ، والحياة ضد الموت ، ومدلول العليم ضد الجاهل ، والعلم ضد الجهل ، فقد اتفقا في مدلول الاسم ومدلول الصفة ، وذلك هو القدر المشترك وهو معنى عام كلى يوجد في الازمان لا في الاعيان ، والوجود في الاعيان مختص ولذلك لم يوجب أن يشترك المحدث الممكن وهو المخلوق مع الواجب الازلى وهو سبحانه فيما هو من خصائص أحدهما ، بل ما أضيف الى واحد منهما فهو مختص به وهو على ما يليق له .

الله هو الرب الاله المعبود ، المنفرد بكل كمال فيعبودونه وحده مخلصين له الدين .

فيقولون أن الله هو الخالق البارئ المصور الرزاق المعطى المانع المدبر لجميع الامور .

وانه المألوه المعبود الموحد المقصود ، وأنه الاول الذى ليس قبله شيء والاخر الذى ليس بعده شيء الظاهر الذى ليس فوقه شيء الباطن الذى ليس دونه شيء .

وأنه العلى الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر .

وأنه على العرش استوى استواء يليق بعظمته وجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلى ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميع احوالهم ، وهو القريب المجيب .

وأنه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل اليه مفتقرون في ايجادهم وايجاد ما يحتاجون اليه في جميع الأوقات ، ولا غنى لاحد عنه طرفة عين وهو الرؤوف الرحيم ، الذى ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة الامن الله ، فهو الجالب للنعم الدافع للنقم .

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به
- رسول الله صلى الله عليه وسلم - من الصفات
الذاتية ، كالحياة الكاملة والسمع والبصر ،
وكمال القدرة والعظمة والكبرياء والمجد والجلال
والجمال ، والحمد المطلق ، ومن صفات الأفعال
المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا ،
والسخط ، وأنه يتكلم بما يشاء وكيف يشاء ،
وكلماته لا تنفذ ولا تبديد .

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ
واليه يعود .

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفا بأنه يفعل ما
يريد ، ويتكلم بما يشاء ، ويحكم على عباده
بأحكامه القدريّة ، وأحكامه الشرعيّة وأحكامه
الجزائيّة ، فهو الحاكم المالك ، ومن سواه مملوك
محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن
حكمه .

ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به
السنة ، أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عيانا
جهرة ، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر
النعيم واللذة .

وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو
مخلد في نار جهنم أبدا ، وأن أرباب الكبائر إذا
ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم
ولا شفاعة ، فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون
فيها ، ولا يبقى في النار ، أحد في قلبه مثقال حبة
خردل من إيمان الآخر منها .

وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها ،
وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها
على الوجه الأكمل ، فهو المؤمن حقا ، الذي
استحق الثواب وسلم من العقاب ، ومن انتقص
منها شيئا نقص من إيمانه بقدر ذلك ، ولذلك كان
الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير ، وينقص
بالمعصية والشر .

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله
الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ،
وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم
النبیین ، أرسل إلى الأنس والجن بشيرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، أرسله
بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلق
بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم
وأعظمهم بياناً ، فيعظمونه ، ويقدمون محبته

أكابر علماء نجد رحمه الله تعالى - بحذف في بعض المواضع وزيادة في بعضها) .

الأصول التي بنيت عليها فتاوى الإمام أحمد

واند بينت عقيدة الإمام أحمد وأتباعه ، فمن المستحسن جدا أن أنكر أصول مذهبه في الفروع وفتاويه وهاك أيها القارئ تلك الأصول نقلا عن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

بنيت على خمس أصول وهي كما يلي :

الأصل الأول : - (النصوص)

النصوص ، فإذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان ، كما لم يلتفت الى قول علي وعثمان وطلحة وأبي بن كعب من ترك الغسل من الاكسال (١) لصحة حديث عائشة أنها فعلته هي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس واحدى الروایتين عن علي أن عدة المتوفى عنها الحامل أقصى الأجلين ، لصحة حديث سبيعة الأسلمية .

وهذا كثير جدا ، ولم يكن يقدم على الحديث عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صاحب ولا عدم

(١) اكسل الرجل : اذا جامع ولم يفرز .

علمه بالمخالف ، الذي يسميه كثير من الناس اجماعا ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب أحمد من ادعى هذا الاجماع .

ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل عند الامام أحمد وسائر أئمة الحديث من ان يقدموا عليها توهم اجماع مضمونه عدم العلم بالمخالف ، ولو ساغ لتعطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفا في حكم مسألة أن يقدم جهله بالمخالف على النصوص ، فهذا هو الذي أنكره الامام أحمد والشافعي من دعوى الاجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

الأصل الثاني : - (فتاوى الصحابة)

الأصل الثاني من أصول فتاوى الامام أحمد ما أفتى به الصحابة ، فانه اذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها الى غيرها ، ولم يقل أن ذلك اجماع بل من ورعه في العبارة ، يقول « لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو هذا ، كما قال في رواية أبي طالب لا أعلم شيئا يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين منهم عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسري العبد ، وهكذا قال أنس بن مالك » لا أعلم أحدا رد شهادة العبد ، حكاة عن

الامام أحمد ، واذا وجد الامام أحمد هذا النوع
عن الصحابة ، لم يقدم عليه عملا ، ولا رايًا ولا
قياسا .

الأصل الثالث : - (الاختيار من أقوال الصحابة اذا اختلفوا)

الأصل الثالث من أصوله : اذا اختلف الصحابة
تخير من أقوالهم ما كان أقربها الى الكتاب
والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فان لم يتبين
له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم
يجزم بقول .

قال اسحق بن ابراهيم بن هانئ في مسائله
قيل لأبي عبد الله : يكون الرجل في قومه فيسأل
عن الشيء فيه اختلاف ، قال « يفتى بما وافق
الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة
أمسك عنه ، قيل له : أفيجيب عليه ؟ قال : لا .

الأصل الرابع : - (الحديث المرسل)

الأصل الرابع : الاخذ بالمرسل والحديث
الضعيف ، اذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ،
وهو الذي رجحه على القياس ، وليس المراد
بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في
روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه ، فالعمل
به ، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح

ونقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث
الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح
 وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد
في الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب ، ولا اجماعا
على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس .

الأصل الخامس : - (القياس للضرورة)

فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص
ولا قول للصحابة أو واحد منهم ولا أثر مرسل
أو ضعيف عدل الى الأصل الخامس - وهو
القياس - فاستعمله للضرورة ، وقد قال في
كتاب الخلال : سألت الشافعي عن القياس ،
فقال انما يصار اليه عند الضرورة ، أو ما هذا
معناه .

فهذه الأصول الخمسة من أصول فتاويه ،
وعليه مدارها ، وقد يتوقف في الفتوى لتعارض
الأدلة عنده أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم
اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة
والتابعين .

وكان شديد الكرامة والمنع للافتاء بمسألة
ليس فيها عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه :
اياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها امام ١٠ هـ

(من اعلام الموقعين - الجزء الاول باختصار من الأصل الاول) .

فهل فى هذه الأصول الخمسة لمن تحلى بالانصاف قول لقائل أو نقد لناقد ، ولا شك أن الحنابلة هم أتباع هذا الامام الجليل الذى قال فيه بعض أهل العلم : تأيد الدين برجلين بأبى بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل (١) يوم المحنة ، يقصد

(١) ولد الامام أحمد بن حنبل ببغداد سنة ١٦٤هـ - وتوفى سنة ٢٤١هـ - مدة عمره سبع وسبعون سنة وفى سنة ٢١٢هـ أعلن المأمون بن هارون الرشيد القول بخلق القرآن ، ولكن عندما شعر بأن الناس غاضبون وساخطون عليه ، سكت مدة ست سنوات ، وفى سنة ٢١٨هـ عاد الى القول بخلق القرآن ، وكتب الى نائبه على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم فى أمر الامتحان ، وسبق الامام أحمد ومحمد بن نوح والحسين بن حماد المعروف بسجادة ، وحسين القواريرى من بغداد الى طرسوس مقيدين ، وفى أثناء الطريق مات المأمون ، فرددوا الى بغداد وأوصى بالخلافة للمعتصم ، وكان نور المعتصم فى القول بخلق القرآن أشد وأخبث ، ولما صمد الامام أحمد ولم يجب على ما أراده المأمون أولا والمعتصم ثانيا ، أمر المعتصم بأن يضرب أحمد بالسياط ، فضرب ثمان وثلاثين سوطا ، وظفوا أنه قد مات من شدة الضرب ، ثم أخرج عنه .

لقد مكث أحمد فى السجن منذ أخذ وحمل الى أن ضرب وخلى عنه ثمانية وعشرين شهرا ، ثم ان المعتصم مات وأوصى لابنه الواثق ، فجاء الواثق أشد وطأة على الأمة وبلاء على الائمة ، وأخيرا رجع الواثق عن المحنة وتاب عن تلك البدعة الضالة ، ولكن الامام لم يزل متواريا الى أن مات الواثق بعد أن دامت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما ، فتولى بعد الواثق المتوكل فرفع المحنة من جميع البلدان ، وكان ذلك فى سنة ٢٢٤هـ - وأمر المتوكل =

بذلك يوم أن امتحنه بذلك المأمون والمعتصم والواثق بالسجن والضرب حتى يقول أن القرآن مخلوق فامتنع وصبر على الآذى واحتسب الأجر عند الله .

فهل وقف القارىء على عقيدة الامام أو أحد من أتباعه وخصوصا فيما يوهم التشبيه والتجسيم كما يقول المفترون ، وفى كلام الله ما زعمه الزاعمون من أن الجلد والمداد قديمان ، كل ما قالوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وسيأتى فيما بعد رد هذه الفرية من كلام شيخ الاسلام والحافظ ابن القيم رحمهما الله وغيرهما .

وها أنا أتحدى هؤلاء الزاعمين المفتريين - أن الحنابلة يمثلون الله بخلقه أو يجسمونه أو

= أهل السنة أن يريدوا على المعتزلة فى قولهم وأن يسبوا عليهم كل باب فتحوه للفتنة ، فعاد الفقهاء والحدثون ، الى نشاطهم وأكرم الامام أحمد ، وخذل الله المعتزلة وأصبحوا محل السخط والغضب للخليفة المتوكل ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، ورفع الله مقام أهل السنة ولاسيما الامام أحمد بن حنبل .

ورحم الله من قال :

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة

ويحب أحمد يعرف المتسلسل

فاذا رأيت لأحمد منتقصا

فاعلم بأن ستوره ستتهك

يشبهونه أو يقولون في القرآن ما زعموا - أن
يأتوا بكلمة واحدة من كتب الامام أحمد أو كتب
أصحابه المحققين يثبت ذلك ، والا فلينادوا على
أنفسهم بالجهل والافتراء .

ويعلم الواقفون على كلامهم أن لا نصيب
لكلامهم من الصحة وأن علومهم هباء في هباء ،
وقولهم كذب وافتراء ، إذ لم يسندوها الى المصادر
المعتبرة من كتب أولئك العلماء . فوالله لو
استعانوا بالجن والانس ، وصعدوا الى
المرىخ ونزلوا الى أعماق الارضين ، لما أتوا
بحرف واحد يدل على زعمهم وافتراءهم .
وها أنذا أوضح هذا المرام فيما يلي :

(تقسيم المتكلمين الى ثلاثة أقسام بالنسبة) للصفات ونفيها

(أولا) المتكلمون في العقائد ، وسموا
بالمتكلمين ، لكثرة كلامهم حول كلام الله ، وحول
صفات الله ، قد انقسموا الى فرق .

(١) منهم من لم يثبت لله صفة ولا اسما
كالجهمية .

(٢) ومنهم من أثبت له الاسماء دون الصفات
وهم المعتزلة ، وقالوا علیم بلا علم ، سمیع بلا
سمع ، بصیر بلا بصر ونفوا الكلام لله ، وقالوا
بل يخلق الله الكلام منفصلا عنه ، كما سيأتي
بيانه .

(٣) ومنهم من أثبت لله الاسماء وصفات
المعاني فقط ، وهي سبعة : الحياة والعلم والسمع
والبصر والقدرة والارادة والكلام ، ومشتقاتها
وهي الاسماء - أعني - كونه حيا عليما سميعا
بصيرا متكلم . الخ .

ونفوا بعد ذلك الصفات الخيرية الواردة في
الكتاب والسنة كالاستواء واليد ونحو ذلك ،
وهؤلاء هم أكثر الأشاعرة والماتريدية .

والسلف الصالح والذي اظهر مذهبهم وناضل عنه الامام أحمد ، يثبتون لله ما جاء في القرآن وصح في الحديث ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تشبيه ، فيقولون :

الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين . فقالوا لله علم يليق به ، وللمخلوق علم يليق به ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، واشتراك شيئين في لفظ لا يوجب اتحادهما في الحقيقة .

فالعرش موجود ، والبعوض موجود ، فهل وجود العرش كوجود البعوض ؟ . وإذا كان الجواب بالسلب ، فالله موجود ، والمخلوق موجود فهل وجود الله كوجود المخلوق ؟ لا يقول هذا من يفهم ما يقول ، لأنه يقال لهم ان كان وجود الله كوجود المخلوق ، فهذا هو التشبيه بعينه . وان كان له وجود خاص أبدى يليق به لم يزل ولا يزال . وللمخلوق وجود يليق به ، فكذلك يقال : لله صفات تليق به ، وللمخلوق صفات تليق به .

فاذا أثبتنا لله صفة تليق به ، كصفة العلم والارادة أو الاستواء مثلا ، وقلنا للمخلوق علم وارادة واستواء فليس معنى هذا ان ارادة الله

هارادة المخلوق ، أو أن علمه تعالى كعلم المخلوق أو أن استواءه - سبحانه - كاستواء المخلوق ، وذلك أن علم الله شامل للجزئيات والكلية ، ولما كان ولما يكون ، لا يخفى عليه شيء في الارض ، ولا في السماء ، فهل للمخلوقين مثل هذا العلم !!؟

وارادة الله تخصص ما يريد ، من الممكنات ، من العدم الى الوجود ، ومن الوجود الى العدم ، وما يريده بارادته الكونية لاراد لها ، وقدرته شاملة لكل ما يريد ، ليست محدودة وكذلك ارادته ، فهل للمخلوق مثل تلك الارادة أو القدرة ؟ (١) . وهكذا القول في سائر الصفات .

لكن تنسب مقالة تشبيه الله بخلقه الى هشام ابن الحكم ، وداود الجواربي ، وهما من غلاة الروافض ، والى محمد بن كرام كما حكاها

(١) القدرة والارادة تتعلقان بالممكن لا بالمستحيل ، كالشريك والولد كما قال بعضهم :

وقدرة ارادة تعلقا بكل ممكن بدا لا مطلقا
لما احتدم الجدل بين الحنابلة وبين المتكلمين في العصور الماضية ، وأصر الحنابلة على عقائدهم وأصر المتكلمون على خرافاتهم وأهوائهم ، أخذ بعض المتكلمين يهاجم الحنابلة ويلزمهم الزامات ، وينسب اليهم أقاويل وعقائد لا يقولون بها .

مثلا - قالوا : اذا قلتم بأن الله على عرشه علا ، فيلزم أن يكون جسما له حيز ومكان ، تعالى الله عن ذلك .

الشهرستاني وغيره بأنهم شبهوا الله بخلقه ،
حتى قال شيخنا الشيخ أحمد نور في منظومته •

فأثبتوا لذاته الجوارحا
مما عدا الفروج والقبائحا

لكن في نفس الوقت قال بعضهم : جسم
لا كالأجسام ، ولم نقف على كتبهم ، ونقل أهل
الكلام يحتمل الصدق وضده ، ولا أظن للمجسمة
أو للمشبهة وجودا في هذا العصر ، ولعلمهم قد
انقرضوا من قرون •

وقال بعض الكلاميين : ان أولئك الذين عبروا
بقولهم (جسما لا كالأجسام) •

معنى قولهم جسما ، أى قائم بنفسه لا بغيره ،
لأن الموجودات إما جسم ، وهو الجوهر عند
المنطقة وهو القائم بنفسه - أو عرض قائم
بغيره ، والله ليس بعرض ، فزعموا أنه جسم
قائم بنفسه ، وأخطأوا وضلوا حيث أطلقوا على
الله الجسمية ، وتعالى الله عن ذلك لأنه لم يرد
في القرآن ولا في السنة إطلاق الجسم على
الله •

ومن المسلم به والمعروف بالبداهة والعقل
السليم ، أن الخالق لا يكون مماثلا للمخلوق ،
فالمشبه يعبد صنما والمعطى يعبد عدما ، والوحيد
يعبد اله الأرض والسماء •

ويرحم الله ابن القيم حيث قال :
لسنا نشبه وصفه بصفقاتنا
ان لمشبهه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه عن أوصافه
ان المعطل عابد البهتان
من شبه الله العظيم بخلقه
فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطّل الرحمن عن أوصافه
فهو الكفور وليس ذا إيمان

(الزام المتكلمين لأهل السنة في قولهم بأن
الله على عرشه استوى يلزم منه التجسيم
والتشبيه ورد الحنابلة عليهم والزامهم
بمالا مفر منه)

فقالت الحنابلة ، (أولا) معاذ الله أن نقول
بالجسمية ، أو أن نشبهه بخلقه ، أو أن نقول
يحويه عرش أو مكان .

ولكن نقول : استوى على عرشه كما يليق
بجلاله ، وأنتم إذا نفيتم أن يكون الله عاليا على
خلقه ، بل انكم صرحتم بأنه لا داخل العالم ولا
خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال
يلزمكم أن يكون معدوما لأن هذه صفات المعدوم
وبهذا خالفتم صريح الكتاب والسنة ، وعقائد
الصحابة والتابعين وجميع المسلمين بل
والكتابيين .

(ثانيا) : هذا الالزام ليس بلازم لنا ، لأن
لازم المذهب ليس بلازم ، فان كان الزامكم لازما
لنا ، فكذلك الزامنا لكم ولا محيص لكم .

(ثالثا) : هذا الالزام ، أو نقول هذه الشبهة
لاترد على الله من حيث هو مستو على العرش ،
ومن حيث هو في السماء ، بل هي واردة عليه ،

من حيث هو موجود ولا شك . كأن يقال : الله
موجود ، والموجود اما أن يكون جسما قائما
بنفسه ، أو عرضا قائما بغيره ، ولا ثالث لهذين
الأمرين ، إذ الموجودات كلها كذلك .

والله موجود ، فاما أن يكون جسما ، واما أن
يكون عرضا ، وباطل أن يكون عرضا ، فلم يبق
الا أن يكون جسما فهو جسم اذن ، سواء أ قيل أنه
في السماء أم لا في السماء ولا في غيرها .

فلا ضرر اذا من القول بأنه في السماء ، أو
بأنه مستو على العرش ، لأنه لا يلزم هذا معنى
فاسد من حيث الصفة .

وحينئذ يقال : ان أمكن أن يكون ثم موجود
ليس جسما ، أمكن أن يكون ثم موجود في
السماء .

أو نقول فوق العرش وليس جسما بالضرورة
وتعالى الله عن الجسمية والتشبيه (ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير) .

(تفرق المسلمين ورمى بعضهم بعضا
بالتفسيق أو التكفير لتركهم الاستدلال
بالكتاب والسنة ورجوعهم الى القواعد
الفلسفية والمنطقية)

من المحن التي ابتلى بها المسلمون ، النزاع
والجدل ، التفرق والاختلاف ، ورمى بعضهم
بعضا بالتفسيق تارة ، وبالتكفير أخرى ، وذلك
لأن أكثرهم ترك الاستدلال بالكتاب والسنة ،
ورجعوا الى القواعد المنطقية والفلسفية ، فآل
بهم الأمر الى ماآل .

والا لورجعوا الى كتاب الله وسنة نبيه وقالوا
كلنا متفقون على أن الله ربنا وخالقنا ومعبودنا ،
لا شبيه له ، ولا نظير له ولا مثيل له (قل هو الله
أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا أحد) .

وعلينا أن نتبع القرآن والسنة الصحيحة ، فما
ورد في القرآن وفي السنة الصحيحة من صفات
الله نؤمن به . ولا نكيف ولا نشبه ولا نمثل ،
وما لم يرد لا نخوض فيه .

مثلا : ورد أن الله له علم وسمع وبصر وقدرة
وارادة ، فنقول : هذه صفات نؤمن بها ، أما
كونها هي عين الذات ، أو غير عين الذات - كما
يقول المتكلمون - ويطيلون الأبحاث والنقاش
والجدل حولها ، فهذا من فضول الكلام ، ولسنا
بمكلفين عن ذلك .

لو مشوا على هذا الصراط المستقيم ، لما
حصل ما حصل من التفرق والانقسام ، وما نتج
عنهما من هذه النسب الكاذبة ، والالزامات
الباطلة .

(رابعا) : هذه كتب الحنابلة طبعت في هذا
العصر أكثر من قبل ، وسارت بها الركبان شرقا
وغربا فهل في امكان أحد أن يأتي بحرف مما
يؤيد تلك المزاعم الضالة ؟

وعلى سبيل المثال والتوضيح والبيان أورد
للقارئ ما يلي :

(اهتراء الكثيرين على شيخ الاسلام ابن تيمية
اعتمادا على رحلة ابن بطوطة هي تشبيه نزول
الله بنزول خلقه ، ودحض ذلك الافتراء من كتاب
شرح النزول ومن الوجهة التاريخية
ومن المعقول)

هذا شيخ الاسلام أحمد بن تيمية الحراني ،
قد نسب اليه كثير من أتباع المذاهب غير
الحنابلة ، فضلا عن أهل الأهواء والضلال ،
أنه يقول بالتجسيم والتشبيه ، ويؤيدون زعمهم
بما وجدوه في رحلة ابن بطوطة من أنه قرأ
حديث النزول ونزل من على المنبر وقال : ينزل
كنزولي هذا .

فاسمع الجواب مما كتبه في كتابي (العقائد
السلفية بأدلتها العقلية والنقلية) ص : (٧٤) .
من الجهل الفاضح أو التجاهل والعصبية
العمياء ، ما نسبته كثير ممن أدعى العلم أن
شيخ الاسلام ابن تيمية كان يقرر حديث
النزول في المسجد الأموي ، وأنه قال (ينزل
ربنا كنزولي هذا) ونزل من على منبر الجامع
درجة ، يريدون بذلك أنه مشبه مجسم ، وأخذ
يروى المتأخر عن السلف هذه الأكذوبة التي
منشؤها ابن بطوطة في رحلته .

فيا سبحان الله ، ما أعظم جهل هؤلاء ؟ هلا
هراوا مؤلفات شيخ الاسلام ليروا كيف يرد على
هؤلاء المشبهة والمجسمة ، كما يرد على الجهمية
والمعتزلة وغيرهم .

بل ألف شيخ الاسلام شرحا لحديث النزول
ليس فيه أدنى رائحة من التشبيه والتجسيم ، بل
يقرر في شرحه في عدة مواضع تنزيه الله (١)
عن التمثيل ، والشرح مطبوع عدة مرات متداول

(١) بعد أن ذكر شيخ الاسلام حديث النزول وأنه اشتملت عليه كتب
الاسلام كصحاح البخاري ومسلم ، وموطأ مالك ومسنن الامام
أحمد ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ، وأمثال ذلك من كتب
العلماء المسلمين أهل الحديث .

قال
واتلق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث ، على
بصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، ولكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله
ما يجب تنزيه الله عنه ، كتمثيله بصفات المخلوقين ، ووصفه بالنقص
النافي لكماله الذي يستحقه ، فقد أخطأ في ذلك ، وإن أظهر ذلك منع
منه ، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضا في
ذلك . ا - هـ .

فإن وصفه - سبحانه - في هذا الحديث بالنزول ، هو كوصفه
بساتر الصفات مما يزهد باطل هؤلاء المفتريين ويصفح وجوههم
ويجعلهم أضحوكة بين العالمين ، حيث يحسبون أنفسهم علماء
وهؤلئون وينشرون بين الناس هذه الأكاذيب والثرهات المفسدة ، مما
فيه افساد لعقائد المسلمين وسؤ ظن بالعلماء المجاهدين الذين
جاهدوا لله وفي الله ، باللسان والسنان ، وافنوا حياتهم في خدمة
الشرع الشريف كشيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأضرابه رحمهم الله .

ثم ذكر الشيخ جملة من الصفات ٠٠ الى أن قال : وكذلك وصف
نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك ، كما في قوله تعالى (ولا =

بين الناس ، فمن يشك فيما أقول فليقرأه ولو مرة واحدة ، بل ليقرأ صفحات منه ليعلم كذب أولئك القوم ومبلغ تعصبهم .

فما أدري ما قيمة العالم اذا كان كذابا مفتريا قال تعالى : (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون (١)) .

= يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء (٢) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٣) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) (٤) ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم - فان القول في جميع ذلك من جنس واحد .
ومذهب سلف الامة وأئمتها ، أنهم يصفونه بما وصف نفسه ووصفه به رسوله في النفي والاثبات ، والله قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين ، فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) (٥) وقال (هل تعلم له سميا) (٦) وقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٧) .

ثم اطلب الشيخ - كعادته - الى ان قال : - فاذا قيل علم الله ، وكلام الله ، ونزوله ، واستواؤه ، ووجوده ، وحياته ونحو ذلك . لم يدل ذلك على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين ، ولم يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك ، كما دل في زيد وعمرو ، لأن هناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار والقياس ، لكون زيد مثل عمرو .
وهنا نعلم أن الله لا مثل له ولا كفه ولا ندا ، فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ، ولا كلامه مثل كلام غيره ، ولا استواؤه مثل استواء غيره ، ولا نزوله مثل نزول غيره ، ولا حياته مثل حياة غيره . (١٠ - ملخصا من ص ٥ - ١٠ - شرح حديث النزول . منشورات المكتب الاسلامي) .

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) النحل - ١٠٥) | (٢) البقرة - ٢٥٥) |
| (٣) الذاريات - ٥٨) | (٤) الاعراف - ١٥٦) |
| (٥) الاخلاص) | (٦) مريم - ٦٥) |
| (٧) الشورى - ١١) | |

واما تمسكهم بما قاله ابن بطوطة ،
فالجواب : يحتمل أن الشيخ ابن تيمية قال :
(ينزل ربنا لا كنزولى هذا) فلم يسمع ابن بطوطة
كلمة (لا) أو سمعها وكتبها ، ولكن حرفها
النساخ .

هذا اذا اسلمنا أن ابن بطوطة رأى شيخ
الاسلام ، ولكن قال المحقق بهجت البيطار في
كتابه (حياة شيخ الاسلام : ... ان ابن بطوطة
لم يسمع من ابن تيمية ، ولم يجتمع به ، اذ كان
وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع من
رمضان عام ست وعشرين وسبعمائة هجرية .

وكان سجن شيخ الاسلام في قلعة دمشق
أوائل شهر شعبان من ذلك العام ، الى أن توفاه
الله ليلة الاثنين لعشرين خلون من ذي القعدة
عام ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية ، فكيف رآه
ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع ، وسمعه ؟؟؟
ولم يكن يعظ الناس على منبر الجامع - كما زعم
ابن بطوطة - وانما كان يجلس على كرسي يعظ
الناس .

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ،
وانما أملاه على ابن جزى الكلبي ، فيجوز أن
يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة
بعض الخصوم .

وزيادة على ما أسلفناه نتحف القارىء بعقيدة
موجزة لشيخ الاسلام (١) فى لاميته
الشهيرة (٢) :

حب الصحابة كلهم لى مذهب
ومودة القربى (٣) بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل
لكنما الصديق منهم أفضل
واقول فى القرآن ما جاءت به
آياته فهو الكريم المنزل
واقول قال الله جل جلاله
المصطفى الهادى ولا أتأول

(١) ولد شيخ الاسلام أحمد بن تيمية سنة ٦٦١ هـ - وتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

(٢) شرح هذه اللامية الشيخ أحمد بن عبد الله المرداوى الحنبلى
وسماه اللآلىء البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية ، طبع فى
الرياض - مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

(٣) المودة من المعانى والصفات القائمة بالمرء ، فالتوسل هنا توسل
بالصفات والمعانى ، كان يقول اللهم أسألك بحبى للنبي أو لاهل بيته
وذوى قرباه . فهذا جائز ، أما التوسل بالذوات كالتوسل بالنبي أو
بأحد الصحابة أو بأحد أهل البيت ، فلا يجوز كما سيأتى بيانه .

وتأمل قوله : والى السماء بغير كيف ينزل ، كيف ينفى الشيخ
تمثيل الله وتشبيهه بخلقه جل جلاله ، ولكن من طمس الله بصيرته
وأعماه عن طريق الهدى يقول ما يريد ، ويتقول على أهل العلم وعلى
وعلى غيرهم ما يمليه عليه الشيطان .

وجميع آيات الصفات أمرها
حقا كما نقل الطراز الأول
وارد عهدتها الى نقالها
وأصونها عن كل ما يتخيل
لبها لمن نبذ القرآن وراءه
وإذا استدل يقول قال الا خطل
والمؤمنون يرون حقا ربهم
والى السماء بغير كيف ينزل
واقر بالميزان والحوض الذى
أرجو بأنى منه ريا أنهل
وكذا الصراط يمد فوق جهنم
فمسلم ناج) وآخر مهمل
والنار يصلها الشقى بحكمة
وكذا التقى الى الجنان سيدخل
ولكل حى عاقل فى قبره
عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعى ومالك
وأبى حنيفة ثم أحمد ينقل
فان اتبعتم سبيلهم فموفق
وان ابتدعت فما عليك معول

وقال الشيخ فى خصوص كلام الله فى رسالته
الواسطية :

فصل

ومن الايمان بالله وكتبه : الايمان بأن القرآن
كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ ، واليه
يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن
الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم - هو
كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق
القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل اذا
قراه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف لم يخرج
عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فان الكلام
انما يضاف حقيقة ، الى من قاله مبتدئاً ، لا الى
من قاله مبلغاً مؤدياً ، وهو كلام الله ، حروفه
ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعانى ،
ولا المعانى دون الحروف .

وما انا اذكر زيادة على كلام شيخ الاسلام
عقيدة شيخين جليلين من قدماء الحنابلة واكابر
علماءهم .

(الاول) - الشيخ الحافظ العلامة عبد الغنى
المقدسى .

(الثانى) - الشيخ العلامة موفق الدين

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسى
مؤلف كتاب المغنى (١) .

والى القارىء ما قاله الشيخ عبد الغنى
المقدسى الحنبلى فى عقيدته :

اعلم وفقنا الله واياك لما يرضيه من القول
والعمل والنية وأعادنا واياك من الزيغ والزلل
أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة
وعلماء الاممة اتفقت أقوالهم وتطابقت اراؤهم
على الايمان بالله عز وجل وأنه واحد أحد فرد
صمدحى قيوم سميع بصير لا شريك له ولا وزير
ولا شبيه ولا نظير ولا عدل ولا مثيل وأنه عز وجل
موصوف بصفاته القديمة التى نطق بها كتابه
العزیز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وصح به النقل عن
نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر الذى بلغ
رسالة ربه لأمته وجاهد فى الله حق جهاده وأقام
الملة وأوضح الحجة وأكمل الدين وقمع الكافرين
ولم يدع للحد مجالا ولا لمجادل مقالا .

وروى طارق بن شهاب رضى الله عنه قال
جاء يهودى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقال أمير المؤمنين أية فى كتابكم تقرؤونها لو
علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيداً قال

(١) المتوفى سنة ٦٠٠ هجرية .

أى آية قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) (١) ،
فقال عمر انى لأعلم ذلك اليوم الذى نزلت فيه
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
بعرفة عشية جمعة .

فأمنوا بما قال الله سبحانه فى كتابه
وصح عن نبيه وأمره كما ورد من غير تعرض
لكيفيته واعتقاد شبيه أو مثيل أو تأويل يؤدى الى
التعطيل ووسعتهم السنة المحمدية والطريقة
المرضية ولم يتعدوا بها الى البدعة الرديئة
فحازوا بذلك المرتبة السنية والمنزلة العلية .

كما قال فى بحث الكلام :

ومن مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل
متكلماً بكلام مسموع مفهوم مكتوب قال الله عز
وجل (وكلم الله موسى تكليماً) (٢) وروى عدى
بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم (ما منكم من أحد الا سيكلمه الله
يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر ايمن
منه فلا يرى الا شيئاً قدمه ثم ينظر اشاء منه فلا
يرى الا شيئاً قدمه ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله
النار فمن استطاع منكم أن يقى وجهه النار ولو

بشق تمره فليفعل) وروى جابر بن عبد الله رضى
الله عنهما قال لما قتل عبد الله بن حرام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم - يا جابر ألا أخبرك ما
قال الله لأبيك قال بلى قال وما كلم الله أحدا الا
من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً قال يا عبد الله
تمن على أعطك قال يارب تحينى فأقتل فيك ثانية
قال انه سبق منى أنهم لا يرجعون قال فابلق من
ورائى فانزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم
يرزقون) (١) رواه ابن ماجه .

والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه
وتنزيله والمسموع من القارىء كلام
الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى (فأجره
حتى يسمع كلام الله) وانما سمعه من التالى
وقال عز وجل (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (٢)
وقال عز وجل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون) (٣) وقال عز وجل (وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الأمين) (٤) وهو محفوظ
فى الصدور كما قال عز وجل (بل هو آيات بينات
فى صدور الذين أتوا العلم) (٥) (٥١ هـ من

(١) آل عمران - ١٦٩ .

(٢) الفتح - ١٥ .

(٣) الحجر - ٩ .

(٤) الشعراء - ١٩٢ - ١٩٣ .

(٥) العنكبوت - ٤٨ .

(١) المائدة (٣) .

(٢) النساء - ١٦٤ .

بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) .
١١٠ سورة طه

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم
وعلى لسان نبيه الكريم ، وكل ما جاء في القرآن
أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات
الرحمن ، وجب الايمان به وتلقيه بالتسليم
والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ،
والتشبيه ، وما أشكل من ذلك وجب اثباته لفظا
وترك التعرض لعناه ونرد علمه الى قائله ونجعل
عهدته على ناقله ، اتباعا لطريق الراسخين في
العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله
سبحانه وتعالى (والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا
الألباب) آية (٧) - ال عمران ، وقال في ذم
مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله (فأما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) آية ٦ -
ال عمران - فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ
وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ، حجبهم عما أملوه
وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه
(وما يعلم تأويله الا الله) آية ٦ ال عمران

قال الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه

المجموعة العلمية السعودية من درر علماء
السلف الصالح (تحقيق الشيخ عبد الله بن محمد
بن حميد) .

وقال الشيخ العلامة موفق الدين عبد الله بن
أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (١) :

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود في كل
زمان ، الذي لا يخلو عن علمه مكان ، ولا يشغله
شأن عن شأن ، جل عن الاشباه والأنداد ، وتنزه
عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه في جميع
العباد ، ولا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه
القلوب بالتصوير ، (ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير) (٢) .

له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی
(الرحمن على العرش استوى ، له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت
الثرى ، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
وأخفى) ٥، ٦، ٧ سورة طه

أحاط بكل شيء علما ، وقهر كل مخلوق عزة
وحكما ، ووسع كل شيء رحمة وعلما (يعلم ما

(١) المتوفى سنة ٦٢٠ هجرية .

(٢) الشورى - ١١) .

وسلم (ان الله ينزل الى سماء الدنيا - وأن الله يرى في القيامة) وما أشبهه : هذه الأحاديث تؤمن بها ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئاً منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بـ لا حد ولا غاية (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين ، تؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنت ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه (١) ذلك الا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن .

قال الامام محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه : آمنـت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنـت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضى الله عنهم كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاعتفاء لأثارهم والاهتداء بمنارهم

(١) كنه الشيء : حقيقته ونهايته .

وحذرنا المحدثات (١)، وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبي صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اتبعوا ولا تبدعوا فقفيتم . (١٠٠ هـ من لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد . لشيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى) .

فهذه عقيدة شيخ الاسلام والشيخين الجليلين وهكذا سائر الحنابلة ، أنهم كسائر السلف الكرام في صفات الله جل وعلا ومنها كلامه ، فهل فيها حرف واحد مما يزعمه أولئك الذين نسبوه الى التشبيه والتجسيم وأولئك الذين نسبوا الى الحنابلة هذا الزعم الباطل ، وأنهم يقولون أن الجلد والغلاف للقرآن قديمان . . . يالها من فرية عظيمة لا تليق بمن لم يكن من أهل

(١) المنار : جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين ، ومنار الحرم : أعلامه التي شربها الخليل على أقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث أبي هريرة (ان للاسلام صوى ومنارا) أى علامات وشرائع يعرف بها .
والمحدثات جمع محدثة بالفتح وهي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع ، كذا في النهاية .

العلم ، فكيف بمن يزعم أنه من العلماء ينتصب للتدريس والوعظ والارشاد والتأليف ، ويدعى أنه يقود الناس الى الصراط المستقيم ، الى صراط أهل السنة والجماعة .

فأين فى عقيدة أهل السنة والصحابه والتابعين والأئمة المهتدين كالامام الشافعى ومالك وأحمد ابن حنبل والامام أبى حنيفة وابن المبارك واسحاق بن راهويه والاوزاعى والنخعى والليث بن سعد والبخارى ومسلم وسائر أهل الصحاح والمسانيد ، تأويل الاستواء بالاستيلاء ونزول الله بنزول الرحمة واليد بالقدرة وكلام الله أنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله النفسى القائم بذاته ، وأما هذا القرآن الذى يخلوه الناس فهو حادث كما يقول الأشاعرة . . . سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين) . آية ١٥ من سورة النور .

الافتراء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الحنابلة النجديين ورد تلك المفتريات

فكما افترى بعض المتكلمين على الحنابلة السابقين ، بأن رموا بعضهم بالتمثيل والتشبيه والتجسيم ، وبعضهم بهذه الفرية ، فقد افترى كثير من معاصرى الشيخ المجدد المصلح الشهير محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمي (١) عليه وعلى أتباعه ، وتناقلها كثير من الناس ممن نسب نفسه الى العلم ومن العوام ، ونسبوا اليه - رحمه الله - والى أتباعه أنهم لا يجعلون للرسول حرمة ، بل يقول أحدهم عصاى خير من الرسول ، ولا يرون للعلماء والصالحين مقاما ، وينكرون شفاعه الرسول ، ويحرمون زيارة قبره وقبور سائر المؤمنين ، ولا يرون الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم - ولا يعتنون بكتب الأئمة ، بل يحرقونها ويتلفونها ، ولا يرون تقليدهم جائزا ، ويكفرون المسلمين من قرون عديدة ، سوى من كان على معتقدهم ، ويحرمون قراءة المولد النبوى . . الى غير ذلك من المزاعم

(١) ولد فى العيينة سنة ١١١٥هـ - وتوفى فى ذى القعدة سنة ١٢٠٦هـ .

والجواب : أن هذه الاشياء المنسوبة اليهم ،
حلتها كذب لا نصيب لها من الصحة أبدا ، وهذه
كتبهم مطبوعة تباع وتوزع ، فمن أراد أن يعرف
كذب هذه المزاعم فليقرأ كتبهم .

وكل ما في الأمر، أن الشيخ محمد عبد الوهاب
- رحمه الله - رأى أكثر أهل نجد وأهل الحجاز
وأهل البصرة والعراق ، كما سمع بالنقل المتواتر
عن سائر الاقطار الاخرى ، أنهم
يؤلهون قبور الانبياء والاولياء
والصالحين ، بل وكثيرا من الكهوف
والغيران والأشجار ، يعتقدون فيها الضر والنفع
ويطوفون حول قبورهم ، وينذرون لتلك القبور
وتلك الأشجار ، ويقدمون لها القرابين ، ويحلفون
بالأنبياء والصالحين ، ويستغيثون بهم في
الشدائد والملمات لدفع الكربات ، وكشف البليات
وقضاء الحاجات . ورأى تهاون أهل نجد
بالصلاة ودفع الزكاة والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، زيادة على بدعهم وضلالهم ، كما
رأى علماء الاقطار وسكوتهم على تلك الترهات
والمنكرات الا من قل ونذر ، فقويت عزمته
وارادته بتوفيق من الله ، أن يدعو الناس الى
الطريق المستقيم ، فدعاهم الى توحيد الله ،
وافراذه بالعبادة ، وبين لهم أن اعتقادكم بأن الله
هو الخالق الرازق الحي الميت المدبر ، لا

ينجيكم من عذاب الله مادمتم لا تخلصون الله ، ولا
تفردونه بالقصد والارادة في عباداتكم بل
تشركون معه نبيا أو صالحا أو شجرا .

وبين لهم أقسام التوحيد : توحيد الألوهية
وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ،
ووضح لهم أن اعتقاد توحيد الربوبية لا يكفي
لدخول الانسان في الاسلام ، لأن المشركين
السابقين يعتقدون هذا الاعتقاد ، ولم يدخلهم
في الاسلام ، قال الله (ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)

بل لابد من توحيد العبودية ، والعبادة اسم
جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج
والطواف والنذر والخشية والرغبة والتوكل
والذبح والاستغاثة كلها من أفراد العبادة . فمن
نذر لغير الله أو استغاث بغيره أو طاف بالمقبور
أو اعتقد بواسطتها ينال خيرا ونفعا ، أو أنها
تقربهم الى الله، فانه بذلك الاعتقاد يكون مشركا .

واستدل الشيخ على دعوته بالآيات القرآنية
والأحاديث النبوية ، كقوله تعالى (ياأيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون) (١) الآية ، وقوله (ومن يدع مع الله الها

(١) سورة البقرة آية ٢١) .

آخر لا برهان له به ، فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكفرون (١) ، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين (٢) . وكقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) (٣) .

فكلمة من دون الله تشمل كل معبود غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم ، واستدل الشيخ في نهيه عن عبادة الصالحين والأولياء بقوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا . يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) (٤) . ويسأل الله المسيح عليه السلام يوم القيامة ليبيكت المسيحيين الذين عبدوه وجعلوه الها من دون الله ، قال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله (٥) وهنا يتبرأ المسيح ويجيب (قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته

- (١) آية المؤمنون)
- (٣) آية الحج)
- (٥) آية المائدة)

- (٢) آية يونس)
- (٤) آية آل عمران)

فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيبيات (١) ، فاذا كان الله ينكر على عباده المسيح وهو من النبيين المرسلين فكيف بمن يعبد غيره .

وبالجملة - حثهم على التمسك بالكتاب والسنة ، وترك الشرك والبدع ، فقامت عند ذلك قيامة الجاهل ، وأهل البدع والضلال ، وعلماء السوء ، وشنعوا على الشيخ ورموه بهذه الافتراءات ، وجرى ما جرى مما سجله التاريخ . والى القارئ تفنيد تلك المزاعم :

فنقول : بل يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفضل الأنبياء والمرسلين - فضلا عن سائر المخلوقين - ويؤمنون بشفاعته العظمى وغيرها من سائر الشفاعات (٢) .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسالته التي كتبها لأهل القصيم : وأومن بشفاعته - صلى الله عليه وسلم - وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعته النبي الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من

- (١) المائدة)

(٢) لكن لا تطلب منه في الدنيا بأن يقول : أسألك الشفاعه بل يسأل الله أن يشفعه فيه وأن لا يحرمه من شفاعته صلى الله عليه وسلم .

بعد الاذن والرضا ، كما قال الله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ١٠ - هـ (١) .

ويرون أن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل القربات وأفضل الطاعات بل يرون أن الصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ركن من أركان الصلاة ، لا تصح الصلاة الا بالصلاة على الرسول ، بينما سائر المذاهب يرون أنها سنة في الصلاة فقط . (٢)

فمن منهم أكثر محبة وتعظيما للرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ولم يكفروا مرتكب الكبائر - كما عليه أهل السنة - ، ولم يقولوا بكفر جميع الناس ، كما زعم الكذابون ، بل قالوا من عبد غير الله ، كأن يتقرب الى قبر نبي أو صالح أو شجرة أو كهف ، بصلاة أو صدقة أو نذر أو ذبح ، أو يعتقد في مخلوق ضرا ونفعا ، فهذا يكون مشركا لقوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون) (٣) وقوله تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله

(١) البقرة - ٢٥٦) .

(٢) ولكن في مذهب الامام الشافعي قول بانها من فروض الصلاة ومذهب مالك وابي حنيفة أنها سنة وهو قول للامام الشافعي .

(٣) آية المؤمنون .

عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) (١) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٢) .

ولا يشك عاقل مسلم أن الطواف عبادة ، والنذر عبادة والصلاة عبادة والذبح عبادة والدعاء عبادة ، فاذا صرف منها شيئا لغير الله يكون قد أشرك مع الله الها آخر ، ولكن لا يبادرون أحدا بالتكفير ، حتى يقيموا عليه الحجة من الكتاب والسنة ، ولم يقل أحد منهم أن عصا خير من الرسول ، بل لم يقولوا أن ابراهيم الخليل خير من الرسول ، فضلا عن العصا ، ولا يحرمون زيارة قبر الرسول ، ولا زيارة سائر القبور ، بل يقولون مسنونة ، الا النساء فانهم يمنعونهن من الزيارة ، لحديث (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد) ، ولكن يحرمون شد الرحال الى قبور الأنبياء وغيرهم ، للحديث الوارد (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد

(١) آية المائدة .

(٢) آية الكهف .

(الأقصى) ، وينبغي أن يقصد زيارة المسجد (١) لنص الحديث ، فإذا ورد هناك فليسلم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبيه ، ويزور البقيع .

فإذا كانت زيارة سائر قبور المؤمنين سنة للحديث الوارد (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) فكيف بزيارة قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؟؟

ويرون للعلماء والصالحين مقاما عظيما ، وينتفعون بكتبهم ، ويشترونها بأغلى الأثمان ، من سائر المذاهب . لكنهم يقولون « ان العلماء والصالحين وحتى الأنبياء والمرسلين لا يستحقون

(١) وقد أحسن من قال من أفاضل أهل نجد .

وان رمت لله سادى البشير زيارة

تخط بها ذنبا وتمحو بها وزرا

فقدم عليها نية المسجد الذى

به الله فى الاذكار قد رفع الذكر

وشم اذا نلت الامانى بقربه

وشاهدت من أركانه النور والفخرا

فبادر على العينين والسر اس ماشيا

وقابل امام المرسلين أبا الزمرا

وسلم عليه من قريب وفز بما

سعدت به من زودة تشرح الصدر

فقل هل ترى فيما نقول ملامة

ولكن اعمى العين لا يبصر الفجرا

العبادة ، لأن العبادة مختصة بالله رب العالمين ولأننا اذا عبدناهم جعلناهم آلهة وهم لا يرضون بذلك ، ولكن علينا أن نعظمهم ونتبعهم فى هديهم الموافق لهدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وننتفع بعلمهم وكتبهم .

وكيف لا يحبون العلماء وهم ورثة الأنبياء ونجوم أهل الغبراء ؟؟ ، ولم يحرموا تقليد الأئمة المعتبرين ، مع العلم ما فى التقليد من الخلاف ، فمن العلماء من حرمه مطلقا ، ومنهم من أجازاه مطلقا من غير تفصيل ، ومنهم من قال: يحرم على المجتهد ، أو من يكون قادرا على الاجتهاد ، ويجب على غير القادر .

والشيخ محمد عبد الوهاب كان حنبليا وأتباعه حنابلة ، فلو كانوا يحرمون التقليد لما كانوا حنابلة ، وأكثر كتبهم التى يقرؤونها ويدرسونها وينتفعون بها هى كتب الحنابلة الأقدمين والسابقين خصوصا ، وكتب أتباع المذاهب عموما .

نعم كان الشيخ - رحمه الله - وأتباعه من بعده ، على أنه يجب الأخذ بالدليل الذى لا معارض له ، ولا مخصص ولا ناسخ ، ولو خالف المذهب ، وبالفعل يأخذ علماءهم بالدليل فى بعض المسائل ، خلاف المذهب ، على أنه قل أن

يوجد قول مؤيد بالدليل والحال مخالف للمذهب المعتمد ، وليس فيه رواية عن الامام أحمد ، على اننا لو سلمنا تسليما جدليا ، أنهم منعوا التقليد فليسوا بالمنفردين لذلك ، بل الخلاف موجود ، وهذه كتب الأصول موجودة في امكان كل واحد فاهم ، أن يقرأ باب الاجتهاد والتقليد (١) ، ليعرف ما في التقليد من الخلاف ، فأى ذنب اذا للحنابلة النجديين ؟؟

وأما زعمهم أنهم حرموا قراءة المولد الشريف فهذا يدل على جهل عميق من القائلين ، كسائر جهالاتهم السابقة ، وتعصبهم الفاسد ، اذ كل من شم رائحة العلم يعلم أن الاحتفال بالمولد حدث في القرن السابع ، والذي أحدثه هو الملك المظفر صاحب اربل ، وأقام الولائم الضخمة حتى قيل : كان يذبح في ليلة المولد عشرة آلاف رأس من الأغنام وسبقه الفاطميون في مصر في القرن الرابع الهجري كما أسسوا المآتم وبنوا ضريحا سموه قبر الحسين وهو كذب لا أثر له من الصحة .

(١) وان أردت أيها القارئ كتابا مخصوصا ، فاقرا اعلام الموقعين . لتري البحث المستفيض في هذا الشأن ، ورسالة للشوكاني تسمى القول المفيد في الاجتهاد والتقليد ، وكتاب « ايقاظ همم أولى الاعتبار للفلاحي ، والاقليد للشيخ صديق بن حسن خان ، وتنزيه السنة والقرآن لكاتب هذه السطور .

ومن حين ما حدث اختلف العلماء ، فمنهم من قال أن الاحتفال بالمولد بدعة حسنة ، ومن العلماء من قال ، أنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة كما في نص الحديث ، والرسول قد وردت عنه عدة أحاديث تحذر عن البدع والمحدثات كقوله (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) . رواه الترمذي وحسنه ولم يأت ما يخص هذا العموم حتى يزعموا انها بدعة حسنة .

وقراءة المولد ، باب من أبواب السيرة النبوية ، وقراءة الانسان سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وشمائله ومعجزاته ، وهجرته وغزواته ، لا شك أنها تزيد الايمان وتقويه ، وينبغي للمسلم أن يكون ملما بسيرته ومناقبه صلى الله عليه وسلم - حتى يعرف حقيقة هذا الرسول العظيم ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين .

والشيخ محمد - رحمه الله - ألف مختصر السيرة ، وقد طبع عدة مرات ، وانتشر في سائر الاقطار ، فلو لم يكن محبا للرسول ، لما ألف سيرة له ، ومن لا يحب الرسول ، لا يكون مسلما بل يكون يهوديا أو مسيحيا .

والشيخ وأتباعه يحثون الناس على التمسك
بسنة الرسول الصحيحة ، ويشددون النكير على
من يخالف سنة الرسول ، ويعدونه مبتدعا .

أما هذا دليل على كمال حبهم وتعظيمهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ ولكن
المنحرفين يرون حب الرسول - صلى الله عليه
وسلم - في قراءة الأناشيد والاشعار
والاستغاثات بالرسول وقراءة البرزنجي وأمثاله
.. فمن عمل بهذا فهو محب للرسول - وان
ارتكب الموبقات ، وتلطخ بقاذورات المبتدعات
ومن لا فلا .

والنقطة الحساسة في هذا المقام : أنه لا
خلاف في قراءة سيرة الرسول - صلى الله عليه
وسلم - من ولادته وشمائله ، ولكن الاحتفال في
ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول ، وقراءة
كتاب مخصوص ، ودق الدفوف ، وما يحصل
من الاختلاط والامور المحرمة ، فهذا هو المنكر
المبتدع .

والا فمن أراد أن يقرأ سيرة الرسول - صلى
الله عليه وسلم - ويفهم الناس أخلاقه العظيمة
وشمائله الكريمة ، فلا مانع هنالك ، بل يستحب
ذلك في أي وقت أراد .

لكن هذه الأكاذيب والافتراءات ، افترتها
الاشراف والأتراك ، وبعض علماء السوء ، تنقيرا
عن دعوة الشيخ لما رأوا أن الدولة السعودية
في ذلك الوقت قد قويت ، ودخلت نجد كلها في
طاعتها ، وامتد سلطانها الى
عسير والحجاز وعمان ، وغزت العراق ،
فحاربوها بمثل هذه الاشاعات والتهم ،
كما حاربوها بالسيف والسنان . والتاريخ
شاهد بذلك ، ولكن أبى الله ألا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون .

وللشيخ مؤلفات عديدة أشهرها كتاب التوحيد
وشرحه حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن
وسماه فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ، وللشيخ
محمد كتاب الكبائر ونصيحة المسلمين ورسالة
كشف الشبهات ومسائل الجاهلية ، كما أن له
رسائل عديدة مختصرة كتلاثة الأصول (١) .

وها أنا أنقل للقارئ رسالة من رسائله ليعلم
أن ما روجه أعداؤه من أنه كان مخالفا للسلف
الصالح أو مذاهب الأئمة الاربعة ، أو أنه كان
يكفر الناس ولا يحب الرسول ولا الانبياء ولا
الأولياء الى غير ذلك من الافتراءات التي أملاها

(١) كما أن له مختصر الانصاف ، والشرح الكبير ، ومختصر
السيرة ، ومختصر زاد المعاد وغيرها من كتب ورسائل .

الشيطان على أسنتهم ، وسولت لهم أنفسهم
بغية الصد عن دين الله ، وتنفير الناس عن اتباع
الشيخ وخدمة للدولة العثمانية وحكومة الاشراف
بالحجاز ، لأنهما رأيا أن في دعوة الشيخ خطرا
على حكومتهم وهاك نص الرسالة :

قال شيخ الاسلام العالم الرباني ، مجدد
الدعوة الاسلامية ، والملة الحنيفية أوجد العلماء
وأروع الزهاد ، الشيخ (محمد عبد الوهاب)
أجل الله له الأجر والثواب ، وأسكنه الجنة بغير
حساب لما سأله أهل القصيم عن عقيدته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم
اني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة
والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره
ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في
كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم -
من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله
سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ، فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا
أحرف الكلم عن مواضعه ولا الحد في أسمائه
وآياته ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات
خلقه لانه تعالى لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له

ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره
وأصدق قيلا وأحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه
به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما
نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل
فقال : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،
وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين) (١) . والفرقة الناجية
وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية
والجبرية ، وهم وسط في باب وعيد
الله بين المرجئة والوعيدية ، وهم وسط في باب
الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين
المرجئة والجهمية ، وهم وسط في باب اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض
والخوارج .

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله
على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره
بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شيء الا
بارادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس شيء
في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن
تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا
يتجاوز ما خطله في اللوح المسطور .

(١) ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ (الصافات) .

واعتقد الايمان بكل ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فأومن بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غر لا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) (١) وتنشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله .

وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعروصة القيامة ، مأؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضى كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٢) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (٣) وقال تعالى (وكم من ملك

(١) ١٠٢ ، ١٠٣ المؤمنون . (٢) ٢٨ الانبياء

(٣) ٢٥٥ البقرة .

في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (١) وهو لا يرضى الا التوحيد ، ولا يأذن الا لأهله وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (٢) .

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم ، وأتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، واعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين

(١) ٢٦ النجم ٢٦ .

(٢) ٤٨ المائدة .

سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم (١) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء وأقر بكرامات الأولياء (٢) وما لهم من المكاشفات الا

(١) ١٠ الحشر .

(٢) وأكثر ما ينسب ويذكر للأولياء من الكرامات ، كما فى طبقات الشعرائى وغيره - مختلق لا أصل له ، وفيه من الغلو والمجازفات وجعل العبد فى صف الخالق ما لا يخفى على من شم رائحة العلم ، وكثير منها مخالف للعقل وللدوق فضلا عن الشرع ، كمثلما يذكرون أن وليا راوه يفعل فى حمارة ، فأراد بعضهم أن ينكر عليه ، فاعترضه آخرون قائلين : أن الشيخ له كرامات وربما حول امرأته الى حمارة ، وبعضهم يجلس مكشوف العورة طويل الاظافر يتغوط ويبول تحته ويزعم أنه مجذوب ، ويزعم المحبون أن له كرامات ويسردون للناس من كراماته وكرامات المقبورين ما تعجبه العقول وتنفّر منه الطباع ، ويؤول بصاحبه الى الكفر والنفاق ، كقول بعضهم أن امرأة عجوزة كانت تسكن ببغداد ، وليس عندها من الابناء الا ابن واحد ، فتوفى ابنها فى ريعان شبابه ، فجاءت الى الشيخ عبد القادر - رحمه الله - تشكو عنده ملك الموت أنه قبض ابنها الوحيد ولا عائل لها ، فذهب الشيخ الى السموات ، وأدرك ملك الموت فى السماء الرابعة . واذ فى يديه طبق قد قبض فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف من أرواح المخلوقين من مواطنى بغداد ، فصفعه صفعة سقط الطبق من يديه فرجعت الأرواح الى أجسادها وأصبحوا أحياء بعد أن كانوا أمواتا ببركة الشيخ ، فهل يصدق مثل هذه الكرامة أو هذه الحكاية المصنوعة من يملك ذرة من عقل وهل وصل نبي من الانبياء بل هل وصل سيد المرسلين الى هذه الدرجة بل الى ارجاع روح واحدة ، أما خاطب الله نبيه الكريم قائلا : (انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (١) وأين الشيخ عبد القادر رحمه الله - اليوم ، أما هو تحت أطباق الثرى ، من لا يستطيع عن نفسه دفع المرض فضلا عن الموت فكيف يستطيع دفعه عن غيره ، وأين هؤلاء الجبهة من قوله تعالى يخاطب =

أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنب ، ولا أخرجهم من دائرة الاسلام وأرى الجهاد ماضيا مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله ، ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم

=رسوله العظيم (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ون يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (٢) ، وقال تعالى (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (٣) وقال تعالى مخاطبا نبيه العظيم (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير ويشير لقوم يؤمنون) (٤) .

(٢) ١٠٧ يونس .

(١) ٣٠ ، ٣١ الزمر .

(٤) ١٨٨ الاعراف .

(٣) ١٧ الانعام .

بالظاهر وأكل سرائرهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .

وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق ، وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة الحمديدية الطاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل .

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افتري على أمور لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي (فمنها) قوله اني مبطل كتب المذاهب الاربعة ، واني أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء واني ادعى الاجتهاد ، واني خارج عن التقليد واني أقول ان اختلاف العلماء نقمة واني أكفر من توسل بالصالحين ، واني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق ، واني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت

ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، واني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم - واني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، واني أكفر من حلف بغير الله ، واني أكفر ابن الفارض وابن عربي ، واني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين .

جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم ، وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم انه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور ، قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون) بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار .

فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية (١) .

وأما المسائل الأخر وهي أني أقول لا يتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى لا اله الا الله وأنني أعرف من يأتيني بمعناها وأنني أكفر النادر اذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وانا قائل بها ، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال

العلماء المتبعين كالأئمة الاربعة ، واذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها فى رسالة مستقلة ان شاء الله تعالى .

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) (١) ٠٠ الآية ٠١٠ هـ (مجموعة رسائل التوحيد - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم) .

فهل فى هذه الرسالة وفى كتاب التوحيد الذى انتشر فى الشرق وفى الغرب يستطيع عالم فضلا عن جاهل أن يأتى بكلمة يدين بها الشيخ رحمه الله مما زعمه أولئك المغرضون ، ومثل هذه الرسالة عدة رسائل كتبها الشيخ رحمه الله الى كثيرين منها : الى عبد الله بن محمد عبد اللطيف الاحسائى ، وكتب الى علماء مكة وعالم من علماء المدينة ، وكتب الى من يصل اليه من المسلمين رسالة ، والى السويدي عالم أهل العراق فى زمانه ، والى أهل المغرب والى رئيس بادية الشام ، والى البكيلى اليمانى ، والى الشيخ اسماعيل الجراعى والى غير هؤلاء ، وفى كثير منها ينفى ما نسب اليه من عدم محبة الأولياء والصالحين وتكفير الناس أجمعين الا

(١) ٦ الحجرات .

من كان على مذهبه ومنع زيارة القبور ومنها زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم - سوى منع شد الرحال الا الى المساجد الثلاثة ، فانه قد اتبع الحديث ، وعدم احترام الأئمة الاربعة وغيرهم واتلاف كتبهم الى غير ذلك مما صنعه المفترون ، وكل هذا كان جوابه رحمه الله ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

ومن يشك فيما أقول ، فليقرأ كتبهم ليعلم حقيقة الحال ، ولا يروج عليه ما يفتريه الجهال ، أو فليقرأ التواريخ التى ألفت لنجد كعنوان المجد لابن بشر ، وتاريخ ابن غنام الاحسائى ، وتاريخ نجد للألوسى وجزيرة العرب فى القرن العشرين لحافظ وهبه ، وتاريخ نجد القديم والحديث للريحانى المسيحى .

ويقرأ الكتب التى ألفت فى تراجم الشيخ ، مثل كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن عبد الغفور الحجازى ، ورسالة مختصرة فى ترجمة الشيخ لعلى الطنطاوى ، كما أنى كتبت فى ترجمته كتابا أسميته (الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ، ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه) .

وأما ما ذكره الكتاب والمؤرخون فى حقيقة دعوته والثناء عليه ، فأكثر من أن يحصر مثل :

حاضر العالم الاسلامي وتعليقات شكيب أرسلان
ومثل ما كتبه الزركلي في الاعلام ، كما ترجم له
- رحمه الله - عبد الكريم الخطيب (١) ، حتى أن
كثيرا من المستشرقين كتبوا عن دعوة الشيخ
وأثنوا عليها ، هداانا الله واخواننا المسلمين الى
سلوك الطريق المستقيم .

وخلاصة ما في الأمر أن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب - أجزل الله له الأجر والثواب - قال
للناس لا تعبدوا الا الله ولا تتبعوا الا الرسول
محمد بن عبد الله وأصحابه . صلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

هل قال الا وحدوا رب السما
وذروا عبادة ما سوى المتفرد
وتمسكوا بالسنة البيضاء
ولا تتنطعوا بزيادة وتردد

هذا الذي جعلوه غشا وهو قد
بعثت به الرسل الكرام لمن هدى
من عهد نوح هكذا تقرى الى
عهد النبي الهاشمي محمد

وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل ، فان كانت

(١) والامام محمد بن عبد الوهاب لعبد الحليم الجندي ومحمد
ابن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه لسعود الندرى .

الرسول قد قالوا لأممهم اعبدوا الله ولا تعبدوا
الاوثان والاصنام فقد قال الشيخ اعبدوا الله
وحده وذروا عبادة القبور والاشجار والغيران
والكهوف وكل شيء سوى الله لأن عبادة هذه
الأشياء هي الوثنية بعينها ، وكونهم كانوا
يعتقدون بأن الله خالق ورازق ومحى ومميت ،
وأن محمدا رسول ، لا يفيدهم شيئا بعد أن
أشركوا به غيره ، ولكن مع ذلك كله ما كان
الشيخ يحكم بتكفير أحد الا بعد اقامة الحجة
عليه .

وأحب أن يفهم القارئ أو السامع الأسباب
والبواعث لانتشار تلك المفاهيم المغلوطة عن
الشيخ محمد وأتباعه وتلك الافتراءات المنسوبة
اليهم ، فتفضل اقرأ باختصار :

لما فشلت علماء الضلال من القبوريين
والمتصوفة وأمثالهم في ميدان الحجج ، كتب
كثير منهم الى الدولة العثمانية يحرضونها على
الشيخ وأتباعه بأنه خارج عن دائرة المذاهب
الاربعة وأنه مبتدع ويكفر الناس ، الى غير ذلك
من تلك الأكاذيب الملفقة التي أوحاها اليهم
الشیطان وحب الرئاسة والأصفر الرنان ،
وما زالوا بالعثمانيين يتوسلون اليهم والى قواد
جيشهم حتى انخدعت الدولة بأولئك المفترين وزاد

الطين بلة ، ما رأت الدولة من قوة انتشار دعوة الشيخ وتأسيس دولة آل سعود ، ورأت أن الدولة السعودية قد بسطت نفوذها على نجد وامتد الى عمان ، وأخذت تغزو العراق وأطراف الشام وخافت أن يزول استعمارها من البلدان العربية لاسيما بعدما فتح آل سعود مكة المكرمة سنة ١٢١٨ هـ ، قام العثمانيون عندئذ بدورهم السياسى واستعملوا القلم والسنان ضد الشيخ وأتباعه النجديين .

أما القلم فأخذوا يوعزون الى بعض العلماء ممن قل نصيبه من الدين والعقل والحياء ، بأن يؤلفوا ضد الشيخ وأتباعه ، وينشروا بين الناس تلك الأكاذيب .

وأما السنان فقد أمرت الدولة (محمد على باشا) واليها بمصر ، أن يجهز الجيوش الجرارة لحرب النجديين وابداتهم وجرى ما جرى .

وقامت أشراف الحجاز بدورهم السياسى قبل الترك ، وحاربوا السعوديين والدعوة السلفية ، ولكنهم باءوا بالفشل الذريع واندحروا وتم للسعوديين فتح مكة .

كما حاربوا السعوديين قبل استيلائهم على مكة المكرمة وبعد خروجهم منها بنشر الدعايات

الكاذبة والافتراءات الصريحة وإيعازهم الى بعض علمائهم ، بتأليف كتب ضد دعوة الشيخ وأتباعه .

فألف مأجورو الترك والأشراف كتباً ، شحنوها بالأكاذيب والترهات ، وحشوها بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والحكايات السمجة ضد الدعوة السلفية ، وزعموا أن الشيخ مبتدع خارجى .

حتى أن (زينى دحلان) نزل الأحاديث الواردة فى الخوارج ، على الشيخ وأتباعه ، فى كتابه (الدرر السنية) وفى (الفتوحات الاسلامية) . فعلوا كل ذلك تنفيراً للناس ، كيلا يتبعوا الشيخ الجليل ، ويعتنقوا مبدأه الصحيح .

ومن دعايات الأتراك والأشراف المنفرة للناس ، نبزهم لأتباع الشيخ بالوهابية وجعلهم هذا اللقب على هذه الفرقة السلفية كعنوان لخروج هذه الفرقة عن المذاهب وعدم محبة النبى والصالحين . وكذبوا والله فى ذلك .

والقصد الوحيد من تلك الدعايات والاشاعات الباطلة ، صد الناس عن اعتناق الدعوة .

وأمر آخر وهو أن لا تقوى شوكة السعوديين ويتسع نفوذهم ، كى تبقى سيطرة الاتراك ،

وامارة الاشراف • ولكن الله رد كيدهم في نحرم ، وعاملهم بنقيض قصدهم ، فانتشرت دعوة الشيخ في سائر الاقطار ، وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها ، وأنها لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة ، فاعتنقها كثيرون وألف جمع من المعتنقين لها كتباً في تأييدها والدفاع عنها •

وهاك زيادة على ما قدمناه من رسالة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ، ما قاله الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (١) أحد علماء نجد المتأخرين •

لما ذهب الشيخ الى الهند وسئل هناك عما يعتقده ويعتقده مشايخه من علماء الدعوة في ثلاث مسائل الاولى : في حكم الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - كقول القائل « أغثنى يا رسول الله ، اشفع لى ، فرج كربى • • ونحو ذلك • والثانية : في شد الرحال الى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقول ومثله سائر الأنبياء •

والثالثة : في التوسل به عليه الصلاة والسلام فأجاب في المسائل الثلاث بجواب مفيد ، مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية • • •

(١) المتوفى سنة ١٢٤٩ هـ - رحمه الله -

قال في جوابه عن المسألة الاولى « الذى نعتقده وندين الله تعالى به فى هذه المسائل وغيرها ، هو ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى أنزل كتابه وأرسل رسوله ليبين للناس ما يهتدون به ويخلصهم من ظلمات الجهل والضلال ويوصلهم الى ربهم سبحانه وتعالى ، كما قال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (٢) ، وقال تعالى (الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) (٣) ، وقال تعالى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) (٤) قال ابن عباس رضى الله عنهما « تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قال : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (٥) •

(٢) ١٥ ، ١٦ المائدة •

(٤) ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ طه

(١) ١٠٧ الانبياء •

(٣) ابراهيم •

(٥) طه •

أما ما يفعله أكثر الناس عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم - من دعائه والتضرع اليه وسؤاله بأنواع السؤال وكذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء الأموات والاستعاثة بهم في الشدائد والمهمات والاستنجاد بهم في تفريج الكربات وإغاثة اللهفات كل ذلك من أعظم المحدثات وأكبر المنكرات لأنه من الدعاء الذي هو مخ العبادة التي هي حق الله تعالى كما قال : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١) . وقال تعالى (واعبدوا ربك حتى يأتيك اليقين) (٢) . وقال تعالى (اياك نعبدك وإياك نستعين) (٣) أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك كما يفيد تقدم المفعول ، وهذا معنى قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (٤) وقوله : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٥) وقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٦) فدللت هذه الآيات أوضح دلالة على أن العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى ، مختصة به لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين وغيرهم من الأشجار

- (١) ٢١ البقرة
(٢) ٤ الفاتحة
(٣) ٢٦ النحل
(٤) ٢٢ الإسراء
(٥) ٣٦ النساء
(٦) ٩٩ الحجر

والأحجار .

ولما كانت العبادة مختصة به تعالى أمرنا بإخلاصها له كما قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (١) وغير ذلك من الآيات الدالة على اختصاصه تعالى بالعبادة بجميع أنواعها .

ومن أعظم أنواعها الدعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا أحدا غير الله فقد عبده ، فإن الله تعالى قد سمى الدعاء عبادة في غير موضع من كتابه ، كما قال تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٢) فسماه دعاء ثم سماه عبادة وقال تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) (٣) فسماه في أول الآية دعاء وسماه في آخرها عبادة ، وقد أفصح القرآن في مواضع بالنهاي عن دعاء غير الله كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) (٤) أي

- (١) ٥ البينة
(٢) ٦٠ المؤمن
(٣) ٥ ، ٦ الاحقاف
(٤) ١٠٦ يونس

المشركين ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى (ان
الشرك لظلم عظيم) وقال تعالى : (وان المساجد
لله فلا تدعو مع الله أحدا) (١) وصرح سبحانه
بكفر من دعا غيره ، فقال تعالى (ومن يدع مع
الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه
انه لا يفلح الكافرون) (٢) فدللت هذه الآيات على
أنه سبحانه هو الاله الحق المتفرد بالعبادة كما
قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه هو الباطل) (٣) .

فمن دعا غير الله من نبي أو ملك أو صالح أو
غيرهم . فقد أتى بالشرك الذى قال الله فيه (ان
الله لا يغفر أن يشرك به) (٤) وشرع ديناً لم
يأذن به الله كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٥) والله تعالى :
انما شرع لعباده توحيده واخلص العبادة له
كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) (٦) .

(١) ١٨ الجن .

(٢) ٦٢ الحج .

(٥) ٢١ الشورى .

(٢) ١١٧ المؤمنون .

(٤) ٤٨ النساء .

(٦) ١٢ الشورى .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة مثل
الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والذبح .

فمن أخلص هذه العبادة بجميع أنواعها لله
تعالى فهو المسلم وان فعل الكبائر . ومن أشرك فى
شئ من أنواعها مخلوقاً نبياً أو ملكاً أو صالحاً
أو شيطاناً أو شجراً أو حجراً فقد بدل الدين
وأشرك برب العالمين وسلك ضد سبيل المؤمنين ،
وقد قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن
يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (١)
ومما ذكرنا يعرف مراد النبي صلى الله عليه وسلم
من النهى عن الصلاة عند القبور والبناء عليها
واتخاذها مساجد ولعن فاعل ذلك كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم : « لعنة الله على اليهود
والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما
نهى عن ذلك واشتد نكيره على فاعله لأنه ذريعة
الى الشرك فى العبادة التى هى حق الله تعالى ،
وفى الصحيح عن عائشة أن أم سلمة رضى الله
عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم -
كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور
فقال (أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو
العبد الصالح بنو على قبره مسجداً وصوروا فيه

(١) ٨٥ آل عمران .

تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله وفي حديث جندب بن عبد الله مرفوعا « لا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم : عن الغلو والاطراء وهو مجاوزة الحد كما قال صلى الله عليه وسلم « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ، وقال صلى الله عليه وسلم « اياكم والغلو فأنما أهلك من كان قبلكم الغلو » وقال صلى الله عليه وسلم - للذى قال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم - (من هذا المنافق أنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله) وقد وقع ما حذر منه صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو والاطراء وفشى ذلك فى البلاد والعباد حتى عظمت الفتنة واستحكم الشر وتفاقم الأمر واشتدت الفتنة بالقبور وأهلها حتى وقعوا فى الغاية التى لأجلها نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو وعن البناء على القبور واتخاذها مساجد وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة وباشروا أكثر الخلق جهارا ماجاءهم فيه النهى الصريح من ربهم ونبيهم

صلى الله عليه وسلم وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) فانا لله وانا اليه راجعون .

وبما حررنا تعرف أن ما يفعله القبورىون اليوم فى مصر والشام والعراق والهند وغيرها من البلاد من عبادة القبور والاستمداد بأهلها وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات كقول بعضهم يا فلان أغثنى أو يا فلان أشف مريضى ورد غائبى ، وأنا فى حسبك . ونحو هذه الالفاظ ، ان هذا هو الشرك المبين والضلال البعيد كما قال تعالى (يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) (١) وفى الاتيان بالكاف التى هى للبعد وتوسط اللام بينهما وبين اسم الإشارة واقحام ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر مع تعريفه ووصفه بالبعد ما يقتضى أن هؤلاء قد بلغوا من الضلال والغواية والبعد عن الصراط المستقيم الى مالا نهاية له كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) (٢) قال المفسرون معنى قوله من أضل أى لأحد أضل منه ، ولهذا كان هذا الذنب أعظم الذنوب عند الله وأكبر الكبائر ورتب عليه الخلود فى النار

(٢) ٥ الاحقاق

(١) ١٢ الحج .

وحرّم أهله جنّته كما قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار) (١) وقال : (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (٢) وقال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (٣) وفي الصحيح عن ابن مسعود مرفوعاً أى الذنب أعظم قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال ثم أى قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال : أن تزاني حليلة جارك : فأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) (٤) .

(١) ٧٢ المائدة .

(٢) ٨٨ الانعام .

(٣) ٦٥ الزمر .

(٤) ٦٨ الفرقان .

المسألة الثانية

وأما المسألة الثانية وهي مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم - فقد جوز طائفة من متأخري العلماء شد الرحل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قبور الصالحين، وخالفهم طوائف من المحققين، والذي نعتقده هو ما دل عليه الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ، وبهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين ، فإن كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به في وجهه لا يلتفت إليه ولا يعول عليه .

وكل أحد من أفراد الأمة وإن بلغ في العلم ما عسى أن يبلغ فهو أنقص من أن يرد لقوله قول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - لاسيما أن كان ذلك القائل في القرون المتأخرة المفضولة كما في مسألتنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتقولون قال أبو بكر وعمر فإذا كان هذا فيمن اختار قول أبي بكر وعمر على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكيف تكون حال من رد

قوله صلى الله عليه وسلم لقول عالم من العلماء .

فمن شد الرجل لزيارة القبر الشريف أو غيره من قبور الصالحين فهذا ممنوع لما في هذا الحديث من حصر جواز ذلك في المساجد الثلاثة .

والذى يشد الرجل لزيارة القبور أى قبر كان ، داخل فى هذا النهى ، لكن ينبغى لمن يشد الرجل الى أحد المساجد الثلاثة ان يزور من هناك من الصالحين فان زيارة القبور من غير شد رجل سنة مرغّب فيها كما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : زوروا القبور فانها تذكركم الموت ، وفيه عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج الى أهل البقيع فيدعو لهم كما جاء ذلك فى الصحيح فهذه هي الزيارة الشرعية وهي أن يكون مقصود الزائر تذكر الآخرة والدعاء للميت والاستغفار له (١) .

(١) ولكن الاكثريّة الساحقة من جهال المسلمين وأدعياء العلم، والعلم منهم برىء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، عكسوا أمر الزيارة ، فبعد أن كانت زيارة القبور مشروعة لأمرين - الأول ليتذكر الإنسان مصيره الى ما صار اليه صاحب القبر ، وليتقظ ويتزجر عما هو فيه من الفى والفساد ، ويتذكر الموت الذى سيفاجئه ولا يبرى متى يكون ، . . . والامر الثانى أن الميت قد انقطع من عمله ويحتاج الى =

وأما ما يتوهمه بعض الناس من أن الزيارة انما شرعت لأجل التبرك بالصالحين وتحري الاجابة عند قبورهم فهو وهم فاسد مخالف لما شرعه الله ورسوله ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ولم يكن أحد من الصحابة يقصد الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الانبياء ولا صلى عندها .

= الدعاء من الاحياء والاستغفار للميت ، ولكنهم قد قلبوا الوضع فشرعوا يطلبون من الميت ما لا يستطيع أن يفعله وهو حى ، فكيف وهو ميت !! مثل شفاء المرض واعطاء الولد وانزال المطر ، وكما شاهد الناس ما حل بالانبياء وبالعلماء وبالصالحين من المصائب والامراض وجور الملوك ، فما استطاعوا ان يدفعوا عن انفسهم شيئا ، فكيف اذا ماتوا يستطيعون ان ينفعوا غيرهم ، ولو فرضنا انهم استغاثوا به او طلبوا منه ما يستطيع فعله فى الحياة ، ولكنه بعد الممات لا يستطيع أن يفعل شيئا ، قال تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور) ، (١) وما تقوله الصوفية وبعض المخرفين من أن الارواح الطبية اذا فارقت الابدان وتجردت من ملابس الدنيا ، تكون اكمل فى تصرفاتها ، قول باطل لا يؤيده عقل صحيح ولا نقل رجيح ، ان هي الا خرافة صوفية وبدعة شركية ما أنزل الله بها من سلطان - سبحانه هذا بهتان عظيم - وكما وقع للصحابة من الاختلاف والتنازع فى أمور الدين وفى السياسة ، فما لجأ أحد منهم الى قبره صلى الله عليه وسلم - يستفسره عما اشكل عليهم واختلفوا فيه ، فاذا كان هذا حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يغيرهم مع الرسول أو مع غيره ، ولكنهم كما قال الله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) (١) .

(١) ١٧ الكهف .

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم - يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف ، وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال قبر معروف الترياق المجرب وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره وقول بعض الشيوخ أن كان لك حاجة فاستغث بي أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين واتباعهم ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم - : أنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة : رضى الله عنها - ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا ، وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك ، وقد علم أن عمر لما أجذبوا استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجذبنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون فلم يذهبوا

الى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به (١) توسلا بدعائه كالامام مع المأموم وهذا تعذر بموته . انتهى قلت : وليت أهل زماننا اقتصروا على البدعة ودعوا الله عند قبور الصالحين ولا أشركوهم في خالص حق الله وأنت تراهم يسافرون الى القبور من مسيرة أشهر ، وبعضهم يرى ذلك السفر أفضل من الحج الى بيت الله ويفعلون عند تلك القبور ، وفي تلك المشاهد من الشرك والكفر ما تطير منه أفئدة أهل الايمان .

اللهم انا نعوذ بك من الشرك ووسائله والله أعلم .

(١) وهنا مسألة مهمة ينبغي أن يفرق بينهما ، ولكل مسألة حكمها الأولى - أن يدعو المسلم الله عند قبر نبي أو صالح يقصد بذلك التبرك وسرعة الاجابة ، فهذه بدعة وذريعة الى الوثنية ولكن لم تبلغ درجة الشرك بالله .

والسألة الثانية - أن يدعو صاحب القبر بأن يطلب منه شفاء مريض أو قدوم غائب أو تفريج هم أو قضاء دين أو يعطيه ولدا أو رزقا أو وظيفة أو زوجة أو نحو ذلك فهذا هو الشرك الأكبر الذي قال الله فيه (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار) =

فالشيخ لما رأى الناس وقعوا في الشرك الأكبر بدعائهم الانبياء والصالحين ، قال ليتهم اقتصروا على الدعاء عند قبور الصالحين ، يقصد الشيخ أن هذه المسألة اهلون من الثانية ، لان الاولى بدعة والثانية شرك ، ولم يقصد الشيخ أن يحذر الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور الصالحين ، فتنبه .

المسألة الثالثة

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أن يقول القائل اللهم انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فهي مسألة مشهورة والكلام فيها معروف عند أهل العلم . فطائفة من العلماء منعوا من ذلك سواء توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره وطائفة جوزوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا بغيره ، واستدل هؤلاء بما روى الترمذى والنسائى أن النبي صلى الله عليه وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا رسول الله انى أتوسل بك الى ربى فى حاجتى ليقضيه الله فشفعه فى ، فاستدلوا بهذا الحديث على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم - فى حياته وبعد مماته ، وقالوا ليس فى التوسل به صلى الله عليه وسلم دعاء للمخلوق والاستغاثة به وإنما هو دعاء ولكن فيه بجاهه صلى الله عليه وسلم ، قالوا وهذا مثل قوله فيما رواه ابن ماجه فى دعاء الخارج الى الصلاة اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا

بطرا خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، هذا حاصل ما استدل به المجوزون للتوسل به صلى الله عليه وسلم (١) .

(١) ولهم أدلة أخرى ، فصحيحها وهو القليل منها لا يدل على ما ذهبوا اليه من جواز التوسل بالانبياء والصالحين ولم يقفوا عند حدود الجواز ، بل قالوا يسن التوسل بهم وهذه بدعة لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، وأكثر تلك الأدلة اما أن يكون موضوعا واما أن يكون ضعيفا ، والضعيف لا يحتج به مثال دليلهم الصحيح ، ولكن لا يثبت ما زعموا قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) (٢) فالوسيلة هنا كما ذكرها المفسرون الاجلاء كابن جرير وابن كثير والبقوى واضرابهم : هى الاعمال الصالحة فيجوز للانسان أن يتوسل بأعماله الصالحة لكي يغفر الله له ذنوبه أو يقضى حاجته ، كما توسل أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فى البخارى ومسلم وسائر السنن ، فتوسل أحدهم بربه لوالديه ، وتوسل الثانى بعفته عن الزنا بعد أن تمكن من الفعل ، وتوسل الثالث بتنمية أجر أجيره حتى نما وصار مالا كثيرا وجاءه الاجير بعد فترة طويلة من الزمن ، فآخذ تلك الاموال كلها .

ومثال الموضوع ما رواه ، توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم ، فان هذا موضوع باتفاق الحديثين . ومثال الضعيف حديث الاعمى ، وقيل صحيح ، وحديث اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك ... وغير ذلك .

وخلاصة الكلام : أن التوسل قسمان - جائز بل مندوب ، وهو التوسل بالايمان وباسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، والتوسل بالاعمال الصالحة ، والممنوع هو التوسل بذوات الاشخاص ولو كانوا انبياء ومرسلين فضلا عن أن يكونوا اتقياء وصالحين ، كان يقول اللهم انى أسألك بجاه فلان أو بحق فلان ونحو ذلك ... ولكن من =

وأما المانعون من ذلك فيقولون ان صح الحديث فليس فيه دليل على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته وانما فيه جواز ذلك في حياته بحضوره ، قالوا والدليل على صحة ما قلناه ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس رضى الله عنهما فقال اللهم انا كنا اذا اجد بنا نتوسل اليك بنبيك فتسقيننا ، وانا نتوسل بعم نبيك فاسقنا فيسقون .

ولو كان التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته مشروعاً لما عدل عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم الى العباس هذا ما ذكره العلماء في هذه المسألة .

ونحن وان قلنا بالمنع من التوسل به صلى الله عليه وسلم - بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على

= محاسن المانعين هو ان كثيرا من العوام والجهلاء يبل وبعض ادعياء العلم لا يفرق بين التوسل والاستغاثة فتراه يستغيث بغير الله . بالانبياء وبالاولياء في الشدائد لكشف بلاء نزل به أو لحاجة يريدونها كان يقول يا رسول الله أو يا علي بن أبي طالب أو يا عبد القادر الجيلاني أو يا يسوقى : اشفع لى انصرنى .. اشفنى من مرضى أو نحو ذلك من الالفاظ الشركية ، ومع ذلك يقول انى توسلت بهم لعدم تمييزه بين التوسل والاستغاثة وما وقع العوام في الشرك المبين الا من بركات ادعياء العلم المجوزين لمثل هذه الترهات والمبتدعات ، ... هداانا الله واياهم الى سواء السبيل .

(٢) ٣٥ المائدة .

من فعله مستدلاً بالحديث فضلاً عن أن تكفره كما ينسبه اليها من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه وكذلك قول بعضهم انا نكفر الناس بالعموم ونستبيح دماء الناس وأموالهم من غير حجة ، وكقول بعضهم انا نمنع من زيارة القبور ونكفر من فعله ونحو هذه الأقاويل التى برأنا الله منها وله الحمد .

ونحن لا نكفر الا من كفره الله ورسوله ، ونعوذ بالله من أن نقول على الله بلا علم فى أسمائه وصفاته وشرعه وأحكامه ، فان ذلك من أعظم الذنوب كما قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) (١) .

(١) ٣٣ الاعراف .

بيان المذاهب في كلام الله

واذ ذكرنا مقدمة تطلع القارئ على معلومات
جمّة عن السلف الصالح ، وعلى معتقدتهم ومنهم
الحنابلة - ونفى ما نسب الى الحنابلة النجديين
من الأمور السابقة والى السابقين ومن القول
بقدم الجلد والغلاف .

كما تكشف له الافتراءات المنسوبة اليهم ،
وتبين حقيقة قولهم فى الصفات ، والكلام صفة
من صفاته جل جلاله فلنشرع الآن فى بيان
المذاهب فى كلام الباري سبحانه وتعالى
- فنقول وبالله التوفيق :

هذه المسألة قد ضل فيها طوائف عديدة ،
وحبس الامام أحمد وغيره من أجل أنه امتنع أن
يقول أن القرآن مخلوق كما أودى غيره بسبها
من المأمون والمعتصم والواثق أبناء هارون
الرشيد الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة ، وهذا
بيان المذاهب :

الاول - الذى عليه الحنابلة - هو ما عليه
السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم
باحسان الى يوم الدين - أن كلام الله غير مخلوق

وأنه تعالى لم يزل متكلماً اذا شاء وكيف شاء
ومتى شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة له بذاته
وهو يتكلم بمشيئته وقدرته بحرف وصوت يسمع
وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم يكن الصوت المعين
قديماً (١) .

قال العلامة ابن قدامة - رحمه الله - وهو من
كبار علماء الحنابلة ، قال :

(فصل) ومن صفات الله تعالى أنه متكلم
بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه
موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه
جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته
ورسله ، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة
ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى
(وكلم الله موسى تكليماً) (٢) وقال سبحانه :
(ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى) (٣) وقال سبحانه (منهم من كلم الله)
(٤) وقال سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله
الا وحياً أو من وراء حجاب) (٥) وقال سبحانه
(فلما أتاهم نودى يا موسى انى أنا ربك) (٦)

(١) وأما القرآن فيقال : كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه
يعود .

(٣) ١٤٤ الاعراف .

(٥) الشورى .

(٢) ١٦٤ النساء .

(٤) ٢٥٤ البقرة .

(٦) ١١ ، ١٢ طه .

وقال (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) (١) وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء .
روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عبد الله بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا (٢) بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان (رواه الأئمة واستشهد به البخارى .

وقال بعد كلام :

(فصل) ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين وحبسه المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين بلسان عربى مبين منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وهو سور محكمات وآيات بينات ، وحروف وكلمات ، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة ، محفوظ

(١) ١٤ طه .

(٢) غرلا : الغرل جمع الاغرل وهو الاقلف، والغرفة القلفة والبهيم ليس معهم شيء وقيل أصحا ، ا . هـ من النهاية .

فى الصدور ، مسموع بالآذان ، مكتوب فى المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٢) .

وسبق كلام شيخ الاسلام فى منظومته اللامية وكلامه فى رسالته الواسطية عن كلام الله .

فهذه عقائد الحنابلة ، فمن أين جاء فى أقوالهم أن الجلد والغلاف قديمان ، وأن أصوات القرأ قديمة ، ومن هنا يتبين أن ما نسبته المفترون الى الحنابلة كذب لا أصل له وبهتان عظيم ، وسيأتى زيادة بيان من كلام ابن القيم - رحمه الله - فى نونيته .

قال العلامة السفارينى رحمه الله وهو من متأخري الحنابلة فى عقيدته :

والعلم والكلام قد تعلقا

بكل شيء يا خليلي مطلقا

(١) ٨٨ الاسراء

(٢) المظهر - المعين .

وان ما جاء مع جبريل
من محكم القرآن والتنزيل
كلامه سبحانه قديم
أعيا الورى بالنص يا عليم
وليس فى طوق الورى من أصله
أن يستطيعوا سورة من مثله

(١) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :
قوله ان مذهب السلف ان كلام الله قديم وكذلك القرآن فيه نظر فان
مذهب السلف كما هو معروف ان كلام الله مما يتعلق بمشيئته فاذا
شاء تكلم ويتكلم متى يشاء كيف يشاء بلا كيف وقد ذكر شيخ الاسلام
ابن تيمية رحمه الله فى كتابه التسعينية ص ١٤٣ ما نصه بالحرف
الواحد - الوجه الثانى ان أحدا من السلف والأئمة لم يقل ان القرآن
قديم وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته . وقد ذكر فى غالب ظنى ان أول
من قال بالمقدم عبد الله بن سعيد بن كلاب ولا ريب ان الأدلة تدل على
ان الله تعالى يتكلم متى يشاء . كيف شاء . وأن القرآن غير قديم ،
ومن ذلك قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وقوله
(قد سمع الله قول التى تجادلنك فى زوجها وتشتكى الى الله) .

فان الاخبار عن سماع المرأة التى تجادل بلفظ الماضى دليل
على سبق ذلك للخبر ولا يصح أن يكون قد قال فى الازل قد سمع
الله قول التى تجادلنك مع انها أى المجادلة لم تكن خلقت ويشبه ذلك
قوله تعالى (واذا غدوت من أهلك تبوءن المقامين مقاعد للقتال)
فان الاخبار عن ذلك بلفظ الماضى دليل على سبقه للخبر والأدلة
على ذلك كثيرة . ومن المعلوم ان الصفات الكاملة من أعظمها ان
الله تعالى لا يزال متكلماً متى شاء كيف شاء كما هو المعروف من
مذهب السلف والله الحمد والمنة ولا يلزم من هذا القول ان يكون
كلامه مخلوقاً فان كلامه صفة من صفاته قد استعاذ به النبى صلى
الله عليه وسلم فى قوله « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق »
والاستعاذة لا تكون بمخلوق والله اعلم .

قال الناظم فى شرحه ناقلاً عن شيخ الاسلام أحمد
بن تيمية فى شرح رسالة الاصفهاني ما نصه
قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى
متكلم بكلام قائم بذاته ، وأن كلامه تعالى غير
مخلوق ، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من
المعتزلة وغيرهم فى قولهم أن كلامه تعالى مخلوق
خلقه فى غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه فى
الشجرة وكلم جبريل بكلام خلقه فى الهواء ،
واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير
مخلوق منه بدأ واليه يعود . قال ومعنى قولهم
منه بدأ أى هو المتكلم به لم يخلقه فى غيره كما
قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم
بأنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم
به كلام . قال ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته
فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف
بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف
صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره ، ولهذا
قال سيدنا الامام أحمد كلام الله ليس بباطن من
خلقه فى بعض الاجسام . قال شيخ الاسلام
ومعنى قول السلف « واليه يعود » ما جاء فى

الآثار « ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ولا فى القلوب منه آية » وما جاءت به الآثار عن النبى المختار صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذى رواه الامام أحمد فى المسند وكتبه الى المتوكل فى رسالته التى أرسل بها اليه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه » (١) يعنى القرآن وفى لفظ « بأحب اليه مما خرج منه » .

وقال بعد كلام طويل بعنوان « مذهب السلف فى الكلام » .

وتحرير مذهب السلف أن الله تعالى متكلم كما مر ، وأن كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم ومعانيه (٢) وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله (انه فكر وقد فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واسكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول

(١) مخ (بأفضل مما خرج) .

(٢) بهامش مخ (أنكر شيخ الاسلام رحمه الله وصف القرآن بالمقدم وقال ان هذا لم يقله السلف) .

البشر سأل عليه سقر) (١) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين أن يقول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر . وأما قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر) (٢) فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله

لا أنه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال (وان أحد من المشركين استجارك فأجر حتى يسمع كلام الله) (٣) فالذى بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى المواسم ويقول (ألا رجل يحملنى الى قومه لأبلغ كلام ربى فان قریشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى) . رواه ، أبو داود وغيره ، والكلام كلام من قاله مبتدئاً به لا كلام من قاله مبلغاً مؤدياً وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض ، فسمع موسى مطلق بلا واسطة وسمع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو

(١) من ١٨ - ٢٦ المذكر . (٢) ٤٠ الحاقة .

(٣) ٦ التوبة .

يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء (١) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بارسال رسول اليهم . . . الى أن قال « فمن قال عن القرآن الذى يقرؤه المسلمون ، ليس هو كلام الله ، أو هو كلام غيره - فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال أن أصوات العباد أو المداد الذى يكتب به القرآن قديم أزلى فهو ملحد مبتدع ضال ، بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت فى المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه تعالى ، فكلام الله (٢) قديم وصوت العبد مخلوق . (٣) - (١) »

(١) ٥١ الشورى .

(٢) نقدم ما فيه .

(٣) من كتاب لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة الرضية تأليف الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الاثرى الحنبلى .

كلام الحافظ ابن القيم فى النونية فى رد هذه الفرية مع كلام شارحها

وقال الحافظ ابن القيم بعد أبيات عديدة من النونية ، لزيادة الايضاح والبيان والتأكيد ورفع الالتباس والشبهة ، ولعله كان يقصد الرد على من زعم أن الحنابلة يقولون بقدم صوت القارئ ومداده وكتابته ، فقال رحمه الله :

وتلاوة القرآن أفعال لنا
وكذا الكتابة فهى خط بنان

لكنما المتلو والمكتوب والمحفوظ
قول الواحد الرحمن

والعبد يقرؤه بصوت طيب
وبضده ، فهما له صوتان

وكذاك يكتبه بخط جيد
وبضده فهما له خطان

أصواتنا ، ومدادنا وآداؤنا
والرق ، ثم كتابة القرآن

ولقد أتى فى نظميه من قال قول
الحق والانصاف غير جبان

ان الذى هو فى المصاحف مثبت
 بأنامل الأشياخ والشبان
 هو قول ربى ايه وحروفه
 ومدادنا والرق مخلوقان
 فشقى وفرق بين متلو ومصنوع
 وذاك حقيقة العرفان
 الكل مخلوق وليس كلامه
 المتلو مخلوقا ، هنا شيان
 فعليك بالتفصيل والتمييز
 فالاطلاق والاجمال دون بيان
 قد أفسدا هذا الوجود وخطبا
 الأذهان والآراء كل زمان
 وتلاوة القرآن فى تعريفها
 باللام قد يعنى بها شيئا
 يعنى بها المتلو فهو كلامه
 هو غير مخلوق كذى الأكوان
 ويراد أفعال العباد كصوتهم
 وأدائهم ، وكلاهما خلقان
 فانظر الى كلامه - رحمه الله - حيث أكد غير
 مرة أن المداد والأداة والرق والكتابة كلها

مخلوقة ، وأفاد فائدة جديدة حاثا عليها وهى
 - أنه يجب أن نفرق بين التلاوة والمتلو ، وبين
 الكتابة والمكتوب ، وأن لا نحكم حكما اجماليا
 مطلقا بغير تفصيل فانه ما أفسد هذا الوجود ،
 وأوقع هذا الشجار والنزاع بين الطوائف ،
 وأضل العقول والأفكار ، الا عدم التفصيل
 والبيان ، والتحديد لمعانى الألفاظ المجملة التى
 يقع فى معانيها احتمال واشتباه وبعض هذه المعانى
 يكون صحيحا مرادا وبعضها يكون فاسدا غير
 مراد ، فتشبهت طوائف المبتدعة بتلك المعانى
 الفاسدة ، وتفسر الألفاظ بها ، فتقع فى الضلال
 ولهذا أوصى بما أوصى شيخه به من
 قبل ، مبينا أن الفساد كله انما ينشأ
 عن الاطلاق والاجمال ، ففى المسألة
 التى معنا لا يجوز - مثلا - اطلاق القول بأن
 القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، بل يجب
 التفصيل :

فاذا كان المراد بالقرآن نفس الفاظ القارئ
 وصوته وأداؤه فذلك ولاشك مخلوق ، وأما ان
 كان المراد به المتلو المؤدى ، فهذا كلام الله غير

مخلوق ، وكذلك لفظ التلاوة ، اذا عرف باللام
كان محتملا لمعنيين ، أن يراد به المتلو ، فيكون
غير مخلوق كهذه الأكوان المخلوقة ، وقد يراد
به أفعال العباد من أدائهم وأصواتهم فهذا
مخلوق وقد اشتبه على كثير من الناس ، ولم يهتدوا
للفرق بين الأمرين ، ومن أجل ذلك لما سئل الامام
أحمد - هل لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟
فقال « لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق .. فأنكر
عليه من لم يفهم معنى كلامه نفى الضدين ، واهتدى
أولوا المعرفة الى سر ذلك النفي وحكمته ، وذلك
أن كلمة اللفظ من الكلمات المجملة التي لا يجوز
الحكم عليها بنفى أو اثبات قبل التفصيل
ومعرفة المراد منها ، فانها تصلح أن تكون
مصدرا بمعنى التلفظ وهي بهذا المعنى فعل
العبد ، وهو مخلوق ، وتصلح أن يراد بها نفس
الملفوظ به وهو القرآن ، وهو بهذا المعنى غير
مخلوق .

ولأجل احتمال المعنيين ، أنكر الاطلاق في
الاثبات والنفي قبل التفصيل والبيان الذي

يحصل به التمييز بين المعنيين ومعرفة المراد
منهما انتهى .

الثاني - أنه مخلوق ، خلقه الله منفصلا عنه ،
وهذا قول المعتزلة .

الثالث - أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو
الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، ان عبر عنه
بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان
توراة ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعرى
وغیره .

الرابع : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في
الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل
الحديث .

الخامس - أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم
الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا ، وهذا قول
الكرامية وغيرها .

السادس - أن كلامه يرجع الى ما يحدثه من
علمه وأرادته القائم بذاته .. وهذا يقول صاحب
المعتبر ويميل اليه الرازي في المطالب العالية .

السابع - أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره . . وهذا قول أبى منصور الماتريدى .

الثامن - أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات . . وهذا قول أبى المعالى ومن تبعه .

وبما أن أشهر هذه الأقوال ، هو قول السلف وعليه الحنابلة ، وقول المعتزلة والجهمية وقول الأشاعرة وهذه الأقوال هي التي شحنت بها الكتب ولها حتى الآن نصراء ، ويحصل فيها الجدل والنقاش ، نذكر حجج كل فريق ، وبيان ما هو الصواب منها بطريق الاختصار ، إذ بحث الكلام قد دونه العلماء الأعلام ، وأطال فيه بعضهم أطالة مسهبة ، فلا يمكن استقصاؤه فلذلك نكتفي بما يلي : -

حجة السلف على اتصاف الله بالكلام

حجة السلف ومنهم الحنابلة ، على اتصاف الله بالكلام . القرآن ، والسنة واجماع الصحابة والتابعين والعقل .

أما القرآن : فآيات كثيرة يعسر استقصاؤها ولذا نذكر بعضها : -

(١) - قال تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الآية (١) .

(٢) - قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٢) .

(٣) - قوله تعالى (أفطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) (٣) .

(٤) - قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) (٤) .

(١) ١٤٢ الاعراف . (٢) ٦ التوبة .
(٣) ٧٥ البقرة . (٤) ٢٥٢ البقرة .

(٥) - قال الله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما) (١) .

وأنظر كيف أكدّه بالمصدر بقوله (تكليما) رفعا لتوهم عدم الحقيقة .

(٦) - قوله تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) (٢) .

(٧) - قوله تعالى (يسن والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم) (٣) .

ومن السنة : -

قوله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد الا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان) .

روى البيهقي في الأسماء والصفات ، عن عبد الله بن مسعود قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل اذا تكلم بالوحي

(٢) ١ ، ٢ فصلت .

(١) ١٦٤ النساء .

(٣) ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ يسن .

سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول الحق . قال فينا دون الحق الحق) رواه أبو داود مرفوعا .

وأما الاجماع : -

فقد أجمعت الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان - قبل حدوث أهل الضلال - على أن الله لم يزل متكلمًا متى شاء وكيف شاء .

وأما البرهان العقلي : -

فان العقل يحكم أن التكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ، وكل كمال لا يستلزم نقصا بوجه من الوجوه ، فالله أولى أن يوصف به فاذا ثبت أن الكلام صفة كمال في المخلوق ، فالخالق أولى به ، ومعطى الكمال أحق بالكمال .

فلو نفينا عنه الكلام لكان غيره أكمل ، وكفى بذلك قبحا .

والدليل على أنه من أوصاف الكمال : أن الله
وبخ عباد العجل ، وأبان قلة افهامهم ، كما بين
بطلان الوهية العجل من حيث أنه لا يتكلم ، ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا ، فقال الله (ألم يروا أنه
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) (١) وفي آية أخرى
(أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا) (٢) .

وقال في وصف المنافقين (صم بكم عمى فهم
لا يرجعون) (٣) .

شبهات المعتزلة النقلية

للمعتزلة شبهات على قولهم (أن كلام الله
مخلوق ، خلقه منفصلا عنه في بعض الاجسام) .

الاولى - قالوا ، قال الله (الله خالق كل
شيء) (١) فالقرآن شيء ، فيكون داخلا في
عموم (كل) فيكون مخلوقا .

والجواب من وجوه :

الاول : ان هذا الاستدلال عجيب جدا من
هؤلاء ، وبيان ذلك أنهم لا يعترفون ولا يعتقدون
أن أفعال العباد مخلوقة لله ، فإذا كان العموم
مرادا من قوله (الله خالق كل شيء) (١) فلماذا
أخرجوا أفعال العباد .

مع العلم أننا نقول : كلام الله صفة من صفاته
به تكون الأشياء المخلوقة ، إذ بأمره تكون
المخلوقات ، قال الله تعالى (والشمس والقمر

(٢) ٩٢ الزمر .

(١) ٩٢ الزمر .

(١) ١٤٨ الاعراف .
(٢) ٨٩ طه .
(٣) ١٩ البقرة .

والنجوم مسخرات بأمره إلا له الخلق والأمر (١) .

ففرق بين الخلق والأمر ، فلو كان الأمر مخلوقا ، لكان مخلوقا بأمر آخر ، والأخر بآخر الى ما لا نهاية له ، ويلزم منه التسلسل وهو باطل كما لا يخفى .

الثانى : عموم (كل) فى كل موضع بحسبه ، ألا ترى قوله تعالى اخبارا عن بلقيس : « وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم » .

فان المراد من كل شئ يحتاج اليه الملوك وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام ، وهو من أنواع التخصيص عند أهل الأصول .

واذ عرفت ما ذكرنا لك ، فاعلم أن المراد من قوله (الله خالق كل شئ) أنه خالق كل موجود

(١) ٥٤ الاعراف .

سوى الله فدخل فى هذا العموم أفعال العباد ، ولم يدخل فيه الخالق وصفاته ، والكلام صفة من صفاته .

وقول المعتزلة (أن الله خلق الكلام منفصلا عنه فى بعض الأجسام) .

فيقال فى جوابهم : ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ، فاذا قام الكلام بمحل . كان هو المتكلم به .

كما أن العلم والقدرة اذا قاما بمحل ، كان العالم القادر .

ولو كان كما تقول المعتزلة ، لكان الكلام كلام ذلك الجسم الذى خلقه فيه ، فكانت الشجرة هى القائلة (انى أنا الله رب العالمين) (٢) وتصور هذا كاف فى بطلانه .

الشبهة الثانية :

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا

(١) ٩٢ الزمر .

(٢) ٢٠ القفص .

استمعوه وهم يلعبون (١) الآية •

والجواب : أن المعنى محدث في النزول •

الشبهة الثالثة :

قوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا) (٢) -
ومعنى جعل : خلق •

والجواب : ما أفسد هذا الاستدلال ، لأن
جعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد ، يكون
بمعنى خلق وكقوله (وجعل الظلمات
والنور) (٣) ، وقوله تعالى (وجعلنا من الماء
كل شيء حي) (٤) •

وأما اذا تعدى الى مفعولين ، فلا يكون بمعنى
خلق • كقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة
لأيمانكم) (٥) • فهل يقول عاقل : ولا تخلقوا الله
عرضة لأيمانكم) ، وقوله (ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) (٦)
وكالآية التي استدلو بها •

فهل يقول عاقل ، بمعنى جعلتم الله في هذه
الآية ، خلقتكم الله ؟ بل جعل هنا بمعنى صير كما
هو غير خاف •

(١) ٢ الانبياء •

(٢) ١ الانعام •

(٣) ٢٢٤ البقرة •

(٤) ٣ الزخرف •

(٥) ٣٠ الانبياء •

(٦) ٩١ النحل •

اعتراض المعتزلة على احتجاج أهل السنة وجوابهم لهم

اعترضت المعتزلة على احتجاج أهل السنة
بقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم) (١) وسائر الآيات التي فيها لفظ التنزيل
مثل قوله (تنزيل من حكيم حميد) (٢) ان هذا
نظير انزال المطر ، أو انزال الحديد فليس بمثل
هذه الآيات حجة على أن القرآن غير مخلوق •

وأجاب أهل السنة : أن انزال المطر مقيد بأنه
منزل من السماء ، كما قال الله (وأنزلنا من
السماء ماء طهورا) (٣) وفي آية أخرى (من
المعصرات) وهي السحاب •

وأما انزال القرآن فمذكور بأنه انزال من الله
كقوله تعالى (تنزيل من الرحمن الرحيم) (٤)
وقال تعالى (انا انزلناه في ليلة مباركة ، انا كنا
منذرين) (٥) •

وانزال الحديد والأنعام مطلق ، فكيف يشبه
هذا الانزال بهذا الانزال ، فالحديد انما يكون

(١) ٢ غافر •

(٢) ٤٨ الفرقان •

(٣) ٢ دخان •

(٤) ٤٢ فصلت •

(٥) ٢ فصلت •

من المعادن التي في الجبال ، وهي عالية على الأرض ، وقد قيل : انه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود .

والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم انزال الذكور الماء من أصلابها الى أرحام الاناث ، ولهذا قال أنزل ولم يقل نزل ، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها أناثها عند الوطاء ، وينزل ماء الفحل من علو الى رحم الأنثى ، وتلقى ولدها عند الولادة من علو الى سفلى ، وعلى هذا فيحتمل قوله (وأنزل لكم من الأنعام) (١) وجهين أحدهما : أن تكون (من) لبيان الجنس .

الثانى : أن تكون (من) لابتداء الغاية .

وهذان الوجهان يحتملان فى قوله تعالى (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا) (١) ، (٢) .

واعترضوا ثانيا على قول أهل السنة فى احتجاجهم أن الكلام صفة لله لأن الله أضافه الى نفسه حيث قال (وكلم الله موسى تكليما) وقال (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٣) .

(١) ٦ الزمر .

(٢) ٦ القوبة .

(٢) ١١ الشورى .

قالوا فى اعتراضهم : ان الاضافة للتشريف كبيت الله ، وناقة الله ، فلا تقتضى أن تكون صفة . . . وأجاب أهل السنة : أن الاضافة نوعان :

- (١) اضافة أعيان : كالبيت والناقة ، فهذه للتشريف والتنويه لما فيه من الصفات العظيمة .
(٢) اضافة المعانى : كعلم الله وقدرته وكلامه فهى من اضافة الصفة للموصوف .

للمعتزلة شبهات عقلية على اتصاف الله بالصفات عموماً ، والكلام خصوصاً

(١) قالوا ما معناه : من العلوم الثابت عقلاً ونقلاً وفطرة ، أن الله واحد فرد ، قديم أزلي ، وعلى ذلك جميع المسلمين ، فإذا وصفناه بصفات عديدة ، كصفة العلم والسمع والبصر والكلام ، وقلنا كلها قديمة أزلية ، لزم تعدد القدماء ، وقد كفرت النصارى بالتثليث ، فكيف بهذه الصفات العديدة ؟

والجواب :

أولاً : لا ينبغي لمن كان مسلماً مؤمناً ، أن ينكر ما ثبت لله في القرآن وفي السنة الصحيحة ، بمثل هذه التشكيكات القبيحة ، بل عليه الإيمان والتسليم ، ويجزم أن عقله قاصر مهما بلغ وعلا وارتنى ، أن يدرك كنه ذاته تعالى أو صفاته .

فإذا كان لا يدرك كنه كثير من المخلوقات ، كالروح والعقل ، فكيف يمكنه أن يدرك كنه الله أو صفاته ؟

وإذا كان لا يدرك ، فهل ينكر ؟ لا بل يجب أن

يؤمن ويسلم ، لأن الشرائع لا تأتي بما يحيله العقل ، بل بما يدركه أو يحير فيه .

وأى عاقل يقول : إذا كنا لا ندرك حقيقة الروح والعقل والكهرباء ، يجب علينا أن ننكرها وثانياً : يلزم تعدد القدماء لو قلنا بتعدد الذوات أما تعدد الصفات لذات واحدة ، فلا يلزم ذلك وليس فيه محذور .

(٢) قالوا ما معناه : لو وصفنا الله بالصفات المذكورة ، وبالصفات التي تثبت لها السلف ، كصفة الرحمة والغضب والاستواء ، لزم تمثيل الله بخلقه وتشبيهه بهم ، لأن هذه من صفات المخلوقين .

فالجواب :

أولاً : يفهم من الجواب السابق .

ثانياً : معاذ الله أن نقول بالمثلية والتشبيه ، كيف وقد قال الله (ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير) فالكلام في الصفات ، فرع عن الكلام في الذات - كما سبق - فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته .

ويلزم من قولهم أن القرآن مملوء من تمثيل الله وتشبيهه بخلقه ، لأن القرآن طافح بصفات عديدة

لله يعز استقصاؤها ، ولو كان لقولهم أصل لثبت
عن رسول الله وأصحابه والتابعين بأن يؤولوها
كما تزعم المعتزلة وسائر المؤولة ، ولا يسع المسلم
الصحيح إلا ما وسعهم ، والبحث في هذا يطول ،
وقد تكلفت كتب أئمة السنة برد هذه الشبهة
الواهية ، وقد مر بعض ذلك في أوائل البحث .

(٣) في خصوص الكلام قالت المعتزلة :
إذا كانت ذات الباريء بالاتفاق
وصفاته - على حد تعبيركم أهل السنة ،
واحدة لا تتجزأ (١) فمحال أن يكون
القرآن كلام الله ، على معنى أنه صفة من صفاته
لأنه لو كان كذلك لكان هو ذاته وبقيّة صفاته
شيئاً واحداً ، ونحن نرى أن في القرآن أمراً ونهياً
وخبراً واستخباراً ، ووعداً ووعداً ، فهذه
حقائق مختلفة ، وخصائص متباينة .

ومن المحال أن يكون الواحد متنوعاً الى
خصائص مختلفة - ١٠ هـ .

والجواب : أن نقول الحمد لله على
نعمة العقل والهداية للإسلام ، والعقيدة
الصحيحة ، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم .

(١) هذه ألفاظ مبتدعة ككلمة الجوهر والعرض ، ولكن ذكرتها
مسايرة للمعتزلة والمتكلمين لأننا في صدد البحث عنهم .

يزعم هؤلاء أنهم لا يثقون بالنقل ، ويلجؤون الى
العقل ، أو يرجحونه على النقل ، ويقولون : نبني
عقائدنا على القواعد العقلية ، لأنه يسلم بها كل
عاقل (١) ولو كان كافراً .

(١) يقال : ليس الامر كما زعموا ، إذ العقول تختلف ، فقد ترى بعض
العقول حسن شيء ، في حين أن عقولاً أخرى تحكم بغيره ، ولذا لما رجعت
الجهمية والمعتزلة ، وسائر الطوائف المنحرفة الى عقولهم وحكموها
تفرقوا واختلفوا ، فالمعتزلة أكثر من عشرين فرقة ، والمشيعة كذلك ،
والحاصل أن الأمة الإسلامية تفرقت الى ثلاث وسبعين فرقة .
ولنمثل : اتفقت المعتزلة والجهمية في تحكيم عقولهم ، في نفي الكلام
ونفي الصفات عن الله ، وبعد هذا الاتفاق اختلفوا في أفعال العباد .
فقال الجهمية « ان العبد مجبور لا فعل له البتة ، بل يخلق الله
جميع أفعاله ، فاستنتجوا بعقولهم بما أن الله هو الخالق الحقيقي
وبعض الآيات تسند العقل اليه ، فحكموا بأنه مجبور .
وقالت المعتزلة « انه حر مختار ، يفعل ما يشاء بغير إرادة الله ،
لأنه يقبح في العقل أن يعذب العبد على الفعل المنهى عنه ، وهو
خالقه وخالق فعله .

فلو رجعوا الى الكتاب والسنة وحكموا الوحيين ، واستضاءوا
بنور الكتاب والسنة أولاً ، وبالعقل الصحيح ثانياً لعرفوا أنهم
مخطئون جميعاً ، وعرفوا أن الحق ما عليه أهل السنة والجماعة - من
أن الله هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها -
وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات ، فلا يقع منها
شيء إلا بتلك المشيئة .

وإن خلقه - سبحانه - الأشياء بمشيئته ، إنما يكون وفقاً لما
علمه منها بعلمه الأزلي ، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ .
وإن للعباد قدرة وإرادة ، تقع بهما أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة
لهذه الأفعال بمحض اختيارهم ، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء ،
أما بالملاح والمثوبة ، وأما بالذم والعقوبة .

وإن نسبة هذه الأفعال الى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها الى الله
إيجاداً وخلقاً ، لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها .

هكذا زعموا . . .

ونحن نقول : أى عقل هذا ، يحكم أن الكلام إذا كان أمرا ونهيا ، ووعدا ووعيدا ، فانه ينافى الوحدة لأنه يحصل تغيير فى ذات المتكلم . كما يفهم من كلامهم .

ونقول ثانيا - أن الله - جل جلاله - واحد فى ذاته وفى صفاته ، والكلام صفة من صفاته ، والامر والنهى والوعد والوعيد من أنواع الكلام والتنوع فى الكلام لا فى ذاته ، فأى استحالة فى هذا ؟ وأين المحذور الذى زعموه ؟

والمتكلم البشرى اذا نوع كلامه من خبر الى أمر الى نهى ، فهل يقال انها خصائص مختلفة ؟ وأنها تؤثر على ذات الانسان ؟ والله أعلى من أن تضرب له الامثال ، ولكن له المثل الأعلى والصفات العلى .

(٤) قالوا - اذا كان الكلام أزليا ، وهو صفة من صفاته ، ترتبت على ذلك أمور مستحيلة ، منها : أن الأمر لا قيمة له ما لم يصادف مأمورا الا اذا كان هناك مأمورون بالصلاة ، ولا كتب عليكم الصيام الا اذا كان هناك مأمورون بالصيام .

ومن المسلم به ، أن فى الأزل لم يكن هناك

مأمور بالصلاة والصيام ، ومحال أن يكون المأمور معدوما .

ثانيا : يلزم من ذلك أن يكون الكلام من غير مكلم وهذا من المستحيلات .

ثالثا : الخطاب مع موسى ، غير الخطاب مع محمد ، ومناهج الكلامين مع الرسولين مختلفة . ويستحيل أن يكون . معنى واحدا ، هو فى نفسه كلام مع شخص على معان ومناهج ، وكلام مع شخص آخر ، على معان ومناهج أخرى ثم يكون الكلامان شيئا واحدا ومعنى واحدا .

الجواب :

أن هذه الأمور التى ذكرتها المعتزلة ، من أنها تترتب على الكلام الأزلى ، وهو صفة من صفاته أو نقول - هذه الشبهات التى ذكروها ترد على الأشاعرة القائلين بالكلام النفسى كما سيأتى مذهبهم - لا علينا معشر السلفيين .

لأننا نقول « كلام الله من حيث هو صفة له ، وهو من صفات الذات والفعل » .

وأما خطابه لموسى بقوله (انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) (١) ، ولنبينا محمد

(١) ١٤٤ الاعراف .

صلى الله عليه وسلم بقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (١) . فقد حصل كل واحد من الخطابين في وقته لا في الأزل .

وكذلك الأوامر والنواهي القرآنية ، حصلت بعد ما أرسل الله الرسول ، وأمن بعض الناس لا في الأزل ، الا أمر تبليغه الرسالة فقد حصل قبل أن يؤمن أحد .

(٥) قالوا « قال الله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (١) . والمسموع حادث لأنه لا يكون الا حرفا وصوتا .

والجواب :

نحن قائلون بأن الله يتكلم بحرف وصوت خلافا للأشاعرة وغيرهم .

ودليلنا على الحرف ما ورد في الحديث الصحيح ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله عشر حسنات) .

وأما الصوت - فقد ورد في الحديث الصحيح (أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) .

(٢) ٦ التسوية .

(١) ٦٧ المائة .

والنداء لا يكون الا بصوت ، ولكن لا يماثل صوت المخلوقين .

في شرح البخارى - ومن نفى الصوت ، يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم آياه الهاما ، قال « وحاصل الاحتجاج للنفي ، الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين ، لأنها التي عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين .

وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به .

وقال ابن حجر أيضا في موضع آخر من شرح البخارى « قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد) حمله بعض الأئمة على مجاز ، يأمر من ينادى فاستتبعه بعض من أثبت الصوت ، لأن في قوله (يسمعه من بعد) إشارة الى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا عنهم ، وبأن الملائكة اذا سمعوا صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضا لم يصعقوا .

قال « فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته
ليس يشبه صوت غيره ، اذ ليس يوجد شيء من
صفات المخلوقين »

قال « وهكذا قرره المصنف - يعنى الامام
البخارى - فى كتاب خلق أفعال العباد ، اه .
فان قيل ان هذه أحاديث آحاد لا تفيد الا الظن
والعقائد ينبغى أن تبني على العلم والقطع .

الجواب :

أن هذا القول اخترعه المتكلمون من المعتزلة
واغتر به بعض السنة ، وهو قول باطل فيه هدم
لكثير من العقائد والشرائع ، ومن المستحسن أن
نذكر بعض الأدلة على قبول ذلك .

بعض الأدلة على قبول خبر الآحاد

الأول : أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
أرسل الرسل الى ملوك العرب وغيرهم ، يدعوهم
الى الاسلام . ومعلوم أن المرسل من الرسول كان
رجلاً واحداً أو اثنين ومعه كتاب ، ولم تكن تلك
الرسالة بدرجة التواتر ومع ذلك أسلم من أسلم
ورأى أن الحجة قد قامت على من أبى ، بواسطة
إرسال ذلك الرسول ، ولو لم تقم الحجة على
المرسل اليهم بإرسال الرسول أو الرسولين ،
ويجب عليهم أن يقبلوا خبر رسول الرسول
ويسلموا . لما أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
رسله الى كسرى وقيصر ، وملك اليمامة
وابنى الجلندى ملك عمان وغيرهم .

كما أنه أرسل معاذاً الى اليمن وقال « انك
تأتى قوما أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه
شهادة أن لا اله الا الله ، وفى رواية - الى أن
يوحدوا الله ، فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن
الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم
وليلة - الحديث أخرجه البخارى ومسلم .

الثانى : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد
وهم بقباء فى صلاة الصبح ، أن القبلة قد

حولت الى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الجهة التي كانوا عليها ، واستداروا الى القبلة ، ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل شكروا على ذلك ، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى .

فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد ، لم يتركوا المقطوع به ، المعلوم . لخبر لا يفيد العلم وبغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول « لا يفيد العلم بقرينة ولا غيرها وهذا فى غاية المكابرة » .

ومعلوم أن قرينة تلقى الأمة له بالقبول وروايته قرنا بعد قرن ، من غير نكير ، من أقوى المقرائن وأظهرها . فبأى قرينة فرضتها ، كانت أقوى منها .

والثالث : قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) الاسراء - ٣٦ - أى لا تتبعه ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الأحاد ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم .

الرابع : قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما

أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (١) وقال تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) (٢) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (بلغوا عنى ولو آية) وقال لأصحابه فى الجمع الاعظم يوم عرفة (أنتم مسئولون عنى فماذا أنتم قائلون) ، قالوا « نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت » .

ومعلوم أن البلاغ هو الذى تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، ولو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذى تقوم به حجة الله على العباد ، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه ، فتقوم الحجة على من بلغه .

وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل .

فيلزم من قال ان اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا تفيد العلم أحد أمرين :

اما أن يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ غير القرآن ، وما رواه عنه عدد التواتر وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ .

واما أن يقول « أن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علما ، ولا يقتضى عملا ، وإذا بطل هذان الأمران ، بطل القول بأن أخباره صلى الله عليه وسلم - التي رواها الثقات العدول الحفاظ وتلقته الأمة بالقبول ، لا تفيد علما وهذا أمر ظاهر لا خفاء به .

الخامس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (١) . فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهم أولو الكتاب والعلم ، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم . لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علما ، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقا ، فلو كان واحدا لكان سؤاله وجوابه كافيا .

السادس : ان هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم - العلم ، يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم

(١) ٤٣ النحل .

وأقوالهم أنهم قالوا ، ولو قيل لهم أنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك غاية الإنكار وتعجبوا من جهل قائله ، ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم الا الواحد أو الاثنان والثلاثة ونحوهم لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقينا .

فكيف حصل لهم العلم الضروري أو المقارب للضروري بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسائر الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بما رواه عنهم التابعون وشاع في الأمة وذاع ، وتعددت طرقه وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم بكثير من حرص أولئك على متبوعيه . . . ان هذا لهو العجب العجيب .

وهذا وان لم يكن نفسه دليلا لكنه يلزمهم أحد أمرين : أما أن يقولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواه وأقضيته تفيد العلم ، واما أن يقولوا أنهم لا علم لهم بصحة شيء مما نقل عن أئمتهم وأن النقول عنهم لا تفيد علما . . . واما أن يكون ذلك مفيدا للعلم بصحته عن أئمتهم دون المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من أبين الباطل .

السابع : قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون

عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) (١) وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، ولو كان ما بلغه لم يفده علما لما كان متعرضا بمخالفة ما لا يفيد علما للفتنة والعذاب الأليم ، فإن هذا إنما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر .

الثامن : أن التفريق بين العقيدة والأحكام العملية ، وإيجاب الأخذ بحديث الآحاد في هذه دون تلك ، إنما بنى على أساس أن العقيدة لا يقترن معها عمل ، والأحكام العملية لا يقترن معها عقيدة ، وكلا الأمرين باطل .

قال بعض المحققين : المطلوب في المسائل العملية أمران ، العلم والعمل ، والمطلوب في العمليات العلم والعمل أيضا ، وهو حب القلب وبغضه ، حبه للحق الذي دلت عليه وتضمنته ، وبغضه للباطل الذي يخالفها فليس العمل مقصورا على عمل الجوارح ، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح ، وأعمال الجوارح تبع ، فكل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه ، وذلك عمل بل هو أصل العمل ،

(١) ٦٢ النور .

وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان ، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال ، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه . فإن كثيرا من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم غير شاكين فيه ، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق ، عمل القلب من حب ما جاء به والرضا به وإرادته ، والموالاتة له والمعاداة عليه . فلا تهمل هذا الموضوع فإنه مهم جدا ، به تعرف حقيقة الإيمان ، فالمسائل العلمية عملية ، والمسائل العملية علمية ، فإن الشارع لم يكتف من المكلفين في العمليات بمجرد العمل دون العلم ، ولا في العمليات بمجرد العلم دون العمل .

ومما يوضح لك أنه لا بد من اقتران العقيدة في العمليات أيضا أو الأحكام أنه لو افترض أن رجلا يغتسل أو يتوضأ للنظافة أو يصلى تريبا أو يصوم تطيبا ، أو يحج سياحة ، لا يفعل ذلك معتقدا أن الله تبارك وتعالى أوجبه عليه وتعبد به لما أفاءه ذلك شيئا ، كما لا يفيد معرفته القلب إذا لم تقترن بعمل القلب الذي هو التصديق كما تقدم .

فإن كل حكم شرعى عملى يقترن به عقيدة لا بد وأن ترجع إلى الإيمان بأمر غيبى لا يعلمه

الا الله تعالى ، ولولا انه أخبرنا فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم - لما وجب التصديق به والعمل به .
ولذلك لم يجز لأحد أن يحرم أو يحلل بدون حجة من كتاب أو سنة ، قال الله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (١) فأفادت هذه الآية الكريمة أن التحريم والتحليل بدون إذن منه كذب على الله تعالى وافتراء عليه ، فاذا كنا متفقين على جواز التحليل والتحريم بحديث الآحاد ، وأننا به ننجو من القول على الله ، فكذلك يجوز ايجاب العقيدة بحديث الآحاد ، ولا فرق ، ومن ادعى الفرق فعليه البرهان من كتاب الله وسنة رسوله ، ودون ذلك خرط القتاد .

التاسع : أن القائلين بهذه العقيدة الباطلة ، لو قيل لهم أن العكس هو الصواب ، لما استطاعوا رده ، فانه من الممكن أن يقال : لما كان كل من العقيدة والعمل يتضمن أحدهما الآخر ، فالعقيدة يقترب معها عمل والعمل يقترب معه عقيدة على ما سبق بيانه أنفا ، ولكن بينهما فرقا واضحا من حيث أن الاول انما هو متعلق بشخص المؤمن ولا ارتباط له بالمجتمع ، بخلاف العمل فانه

(١) ١١٦ النحل .

مرتبط بالمجتمع الذى يحيا فيه المؤمن ارتباطا وثيقا ، فيه تستحل الفروج المحرمة فى الأصل ، وتستباح الاموال والنفوس ، فالأمور العملية من هذه الوجهة أخطر من الامور الاعتقادية ، ولنضرب على ذلك مثلا موضحا : رجل يعتقد بأن سؤال الملكين فى القبر أو ضغطة القبر حق بناء على حديث آحاد ، ومات على ذلك ، وآخر يعتقد استباحة شرب قليل من النبيذ المسكر كثيره ، أو يستحل التحليل ، ويقول باباحته بعض المذاهب لدليل بدا لهم طبعاً ، ولكنه ظنى طبعاً ومات على هذا ، والواقع أن كلا من الرجلين كان مخطئاً بشهادة السنة الصحيحة ، فأيهما كان حاله أخطر على المجتمع ؟ الذى كان واهما فى اعتقاده أم الآخر الذى كان واهما فى استباحته الفروج والشراب المحرمين ؟ . . . ولذلك فلو قال قائل : ان الحرام والحلال لا يثبتان بخبر الآحاد بل لابد فيهما من آية قطعية الدلالة ، أو حديث متواتر قطعى الدلالة أيضا ، لم يجد المتكلمون وأتباعهم عن ذلك جوابا .

أما نحن فلو كان لنا أن نحكم عقولنا فى مثل هذا الأمر ونشرع لها ما لم يأذن به الله ، كما فعل المتكلمون حين قالوا بهذا القول الباطل - لقلنا بنقيضه تماما ، لأنه أقرب الى المنطق السليم من

قولهم ، ولكن حاشا أن نقول به أو بنقيضه ،
إذا لكل شرع ، فلا نفرق بين ما سوى الله تبارك
وتعالى ، ولا نسوى بين ما فرق ، بل نؤمن بكل
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح
الخبر به عنه أحادا أو تواترا ، اعتقادا أو عملا
والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا
أن هدانا الله .

العاشر : ان خبر العدل الواحد المتلقى
بالقبول لو لم يفد العلم لم تجز الشهادة على الله
ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة
من عهد الصحابة الى الآن لم تزل تشهد على
الله وعلى رسوله بمضمون هذه الاخبار جازمين
بالشهادة فى تصانيفهم وخطابهم ، فيقولون
شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله صلى الله
عليه وسلم ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق تلك
الاخبار جازمين بها لكانوا قد شهدوا بغير علم ،
وكانت شهادة زور ، وقولا على الله ورسوله
بغير علم ، ولعمر الله هذا حقيقة قولهم ، وهم
أولى بشهادة الزور من سادات الأمة
وعلمائها (١) .

(١) من السادس الى العاشر من أصل الاعتقاد للشيخ عمر
سليمان الأشقر .

والحمد لله على ما من علينا من اكمال هذا
الجواب المتضمن لاجابة السائل ، وزيادة مسائل
مفيدة تهم القارئ والباحثين ، واحسب أنه
أروى الغليل وأشقى العليل .
وقد تم تحريره وتسطيره فى اليوم الثامن من
شهر جمادى الآخرة عام اربعمئة وألف من
الهجرة .

المؤلف

أحمد بن محمد آل بوطاى آل بن على
قاضى المحكمة الشرعية الأولى
ببغداد قطر

شوال ١٤٠٠ هـ الموافق اغسطس ١٩٨٠ م

فهرس

صفحة

خطبة الكتاب :

٥	نص السؤال
٧	المقارنة بين عبارة المواقف وعبارة أحمد أمين
٩	الشروع فى الجواب
١٠	افتراء بعض المتكلمين على الحنابلة
١١	فتنة الحنابلة ببغداد
١١	ما نسبته الراضى اليهم وشدد فى الحكم عليهم
١٥	ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
١٩	مذهب الامام احمد واتباعه فى الاصول والفروع
١٩	عقيدة السلف فى صفات الله
١٩	تعليق فى الرد على تافى الصفات
٢٠	عقيدة شاملة للحنابلة من القول السديد
٢٦	الاصول التى بنيت عليها فتاوى الامام احمد ومذهبه
٣٣	تقسيم المتكلمين الى ثلاثة اقسام
	الزام المتكلمين لاهل السنة فى قولهم بأن الله على عرشه
٣٨	استوى ورد الحنابلة عليهم
٤٠	تفرق المسلمين ورمى بعضهم لبعض بالتفسيق والتكفير
	افتراء الكثيرين على شيخ الاسلام ابن تيميه اعتماده على
٤٢	رحلة ابن بطوطة
٤٢	تفنيد ذلك الافتراء

صفحة

٤٦	عقيدة موجزة لشيخ الاسلام في لاميقه المشهورة
٤٨	النقل عن شيخ الاسلام من رسالة الواسطية في خصوص كلام الله
٤٩	كلام الحافظ عبد الغنى المقدسى
٥٢	كلام الشيخ موفق الدين ابن قدامة
٥٧	الافتراء على الشيخ محمد عبد الوهاب واتباعه من الحنابلة النجدين وبيان تلك المفتريات
٥٨	سبب قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة لتوحيد الالهية وتوحيد الاسماء والصفات
٦١	تفنيد المزاعم المنسوبة للشيخ واتباعه ، وبيان معتقدهم
٦٤	نظم جميل في زيارة مسجد الرسول ثم قبره
٦٦	موقف الشيخ من التقليد والاحتفال بالمولد النبوى
٦٩	رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبيان ما يعتقدون وهي عقيدة وجيزة مفيدة شاملة للايمان بالصفات وما يدعو اليه والايمان بشفاعته النبى وما الى ذلك من العقائد المهمة
٧٤	تعليق على كرامة الاولياء وبيان بعض خرافات الصوفية
٧٦	جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عما نسب اليه من تكفير المسلمين واتلاف كتب الائمة وما الى ذلك من الاكاذيب
٨١	السبب الباعث لانتشار تلك المفاهيم المغلوطة عن الشيخ محمد واتباعه
٨٤	بيان ثلاث مسائل مهمة مما يعتقد الشيخ واتباعه نقلا من رسالة الشيخ سعد بن عتيق
٨٥	الاستغانة
٩٣	شد الرحال

صفحة

٩٤	تعليق على زيارة القبور
٩٨	التوسل
١٠٢	بيان المذاهب في كلام الله
١٠٤	فصل ومن كلام الله القرآن العظيم
١٠٦	تعليق من كلام الشيخ عبد الله بابطين على السفارينى
١٠٨	مذهب السلف في الكلام نقلا عن شيخ الاسلام
١١١	كلام الحافظ بن القيم من نونيته في رد فرية المتكلمين على الحنابلة
	بقية المذاهب في الكلام :
١١٧	حجة السلف على انصاف الله بالكلام
١٢١	شبهات المعتزلة النقلية حول كلام الله
١٢٥	اعتراض المعتزلة على احتجاج اهل السنة وجوابهم لهم
١٢٧	بعض أدلة على قبول خبر الاحاد

 **مطبعة النرجس التجارية**
NARIJIS PRINTING PRESS

تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤

فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض